



عبد الرزاق نوفل

دار الشروق


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


دين وفكر

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب . ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE



عبد الرزاق نوفل

دار الشروق



الإهـــدَاء

إلى الذين يتفكرون كثيراً ... آفـاقـاً جديـدة للفـكر

وإلى الذين لايتفكرون إلا قليلاً ... إثارة ودفعة إلى زيادة الفكر



بسم الله الرحمن الرحيم

« فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » .

« ١٧٦ سورة الأعراف »



مقـدمـة

« أَوَلَم يَتفكَّرُوا فِي أَنْفسِهم مَاخَلَقَ الله السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بالحق وَأَجَلٍ مُسَمًّى ».

« ٨ سورة الروم »

الحمد لله الذى ميز الإنسان بالعقل الواعى فبه تمكن من السيطرة على باقى الكائنات الأخرى .. وعن طريقه استطاع أن يرسم الطريق الذى يسلكه فى حياته ليحقق به أهدافه من رخاء ورفاهية وأمن وسعادة .. والعقل وإن لم يصل العلم بعد إلى الإحاطة بأسراره .. إلا أنه من المؤكد أن الفكر هو أحد ميادين العمل العقلى إن لم يكن أهمها .. إذ أن العقل هو المؤثر فى الفكر .. والفكر إنما يختص بالعقل .. ويشير إليه .. ومن ثم فإن الفكر الواسع الذى ينشأ عن دراسة الأسباب والنتائج ويقترح الحلول ويحلل المشاهدات هو أهم مايميز الإنسان عن غيره من الأحياء .. وإن كانت لدى بعض الكائنات الأخرى عقول وأفكار تناسبها إلى حد ما .

والفكر دعا إليه الإسلام .. فقد أمر به القرآن الكريم فى آيات

كثيرة .. وعن طريق الفكر قامت حركات علمية إسلامية كبرى .. كان الأساس فيها .. والدافع إليها .. الاستجابة إلى ما أمر به القرآن الكريم ودعا إليه سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

ولكل إنسان لحظات تفكير يقضيها مختلياً بنفسه .. وحيداً مع فكره .. متأملاً .. متطلعاً .. باحثاً .. متخيلاً .. متدبراً .. متفكراً .. وعلى قدر هذه اللحظات .. وطولها .. واستمرارها وموضوعاتها .. ينمو العقل .. ويتقدم الفكر .. ويتعمق الإيمان .. فإن كل فكر فيما هو حول الإنسان إنما يقوده إلى الحقيقة الأولى فى الحياة .. وجود الله .. ووحدانيته .

وتتعدد مناطق الفكر .. بتعدد آيات الله .. وما أكثرها .. فى هذا الكون العظيم .. وفى القرآن الكريم !! ففى كل آية من آيات الكون .. دليل على وجود الله وقدرته .. وفيها مناطق فكر كثيرة .. وفى كل آية من آيات القرآن الكريم الدليل على وجود الله وعظمته وفيها مجالات للفكر كبيرة .

وقد يكون من المفيد أن ينقل كل منا إلى صاحبه صورة لبعض لحظات فكره .. فقد تكون لذلك فائدة .. بل فوائد .. فمنها أنها توجه الفكر إلى ميدان أو آية قد لايكون الإنسان وصل إليها .. أو اتجه نحوها .

وإنى أقدم لك أنت يا أخى القارئ وقد ارتبطت بك فى بضع وخمسين رسالة دينية علمية .. بعض صور صادقة لبعض لحظات فكرى .. أرجو أن يحقق الله الهدف من إعلانها ..

والله الموفق .. يجمعنا دائماً فى رحمته .. وأبدا على عبادته .

« وأَنزَلنَا إليكَ الذِّكَر لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسَ ما نُزِّلَ إِلَيهِمْ ولَعلَّهُم يتفكَّرُونَ » .

« ٤٤ سورة النحل »


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفكر بين آدم والشيطان

لعب الفكر دوراً هاماً فى حياة الإنسان منذ أن خلق .. بل إنه كان السبب الذى تغيرت به حياته .. فأول عملية هامة وأخطر حركة تمت فى الوجود كانت نتيجة فكر .. فعن طريق الفكر هبط آدم وحواء من جنة الله إلى الأرض .. فقد خلق الله جل شأنه آدم فى الجنة ثم خلق له حواء لتؤنس وحدته وتملأ عليه فراغ حياته .. وتمنع عنه الملل والسأم فى جنته .. ولتحفظ عليه سعادته .. وحتى لايقوم بينهما تنافس أو يثار بينهما حقد أو حسد فيما لو كان الرفيق لآدم من جنسه .. شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون ذلك الرفيق من غير جنسه فكانت حواء أنثى وكان آدم ذكراً .. ولم يكن الإنجاب والتوالد بالطريق الذى نعرفه هو الأصل فى خلق حواء أنثى .. ففى الجنة حيث كانا أولا لم يتبينا مظاهر الاختلاف بين جسديهما ومن ثم لم تكن هناك من فرصة للإنجاب . وكان من الممكن بعد أن يأمر الله بإنزال آدم من الجنة أن تخلق له حواء على الأرض مستعدة لأن يتم بها قصة الخلق عن طريق التزاوج .. أو يخلق الله جل شأنه أنثيين لآدم وزميله إذا كان الزميل لآدم فى أول الخلق ذكراً ولكن زيادة

لسعادة آدم فى الجنة أراد الله فخلق له حواء لتسعده دون أن تنافسه .. فلو كان وحيداً لاستشعر الوحدة وما وراءها من شقاء .. ولو كان له رفيق من جنسه لدب بينهما التنافس ومن ثم لاتتحق لآدم الهناءة وصفاء البال .

واصطفى الله جل شأنه آدم فميزه على الملائكة إذ علمه أسماء كل مايحيط به بصره ولم تكن الملائكة تعلمها وذلك بنص الآيات الشريفة :

« وَعَلَّم آدَمَ الْأَسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى الملائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاء هؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَعِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَاعَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحكِيمُ ».

« ٣١ ـ ٣٢ سورة البقرة »

وتوالت أنعم الله على آدم وحواء فى صور مختلفة وطرق متعددة بحيث شملت كل نواحى الحياة وحققت لهما عيشاً رغداً فأسكنهما سبحانه وتعالى الجنة وخلق لهما فيها من أصناف النباتات وأنواع الغذاء مالايدركه الحصر.. وإن كان يكفيهما أقل القليل منها .. إلا أنها لفرط كثرتها وتعدد ألوانها تثير فيهما السعادة والنشوة . وفى ذلك تقول الآية الكريمة من القرآن الكريم :

« وَقُلْنا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهاَ رَغَداً حَيْثُ شِئْتُماَ » .

« ٣٥ سورة البقرة »

ولم تكن حياة آدم وحواء فى الجنة لتشبه الحياة التى نعرفها ، ولم تكن من جنس ما نعهده ، فغذاؤهما لا يهضم يقيناً كما يهضم الغذاء الذى نتناوله فى حياتنا . إذ لم يكن ليدركهما الجوع أو الظمأ إنما هى تغذية على سبيل الإمتاع والتلذذ لا على سبيل رد الجوع أو إطفاء العطش كما ستر سبحانه عليهما عورتيهما فهما فى الجنة فى غير حاجة إلى كساء . ولا يظهر منهما مايحتاج إلى ستر أو غطاء وذلك بنص الآية الشريفة :

« إِنَّ لكَ ألاَّ تَجُوعَ فيهاَ وَلاَ تَعرَى . وأنك لاَتَظْمأ فِيها وَلا تَضْحَى ».

« ١١٨ ـ ١١٩ سورة طه ».

وقمة السعادة التى أحاط الله سبحانه وتعالى بها آدم وزوجه أنهما كانا فى أكرم جوار وعلى أقرب مستوى من الوصول .. حتى أن الله جل شأنه أمر الملائكة أن تسجد لآدم ولاسجود إلا له جل شأنه .. وما ذلك إلا زيادة فى إسعاد آدم وزوجه .. وسجدت الملائكة لآدم طاعة لله وامتثالاً لأمره فيما عدا إبليس الذى اعتقد أنه وقد خلقه الله من نار .. أفضل فى الأصل ممن خلق من طين وهو آدم وفى ذلك تقول آياته الشريفة من القرآن الكريم :

« إذ قَالَ رَبُّكَ للملاِئكَةِ إِنِّى خَالقٌ بَشَراً مَنْ طينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُه ونفخْتُ فِيه مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ ساجدِينَ . فَسَجَدَ الملاِئكَةُ كلُّهم أجمعُون . إلاَّ إِبْلِيسَ استَكبَرَ وكَانَ منَ الْكَافرِينَ . قالَ يا إِبليسُ

مامنَعكَ أن تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بيدَىَّ أَسْتَكْبَرتَ أمْ كُنْت مِن الْعالين . قالَ أنا خيرٌ منه خَلَقْتنى من نارٍ وخَلقتَهُ مِنْ طِينٍ ».

« ٧١ ــ ٧٦ سورة ص »

وكان هذا الاعتراض من إبليس وعدم سجوده لآدم ومعصيتهُ أمر الله دليلا وإشارة على أن هناك حرباً شديدة لابد سيشنها إبليس على آدم ، وبالرغم من وضوح هذه النية من إبليس فإن الله جل شأنه أعلنها لآدم حتى يتبين أمره منه فقال جل شأنه بنص آيات القرآن الكريم :

« فَقُلْنا يا آدَمُ إنَّ هذَا عدوٌ لك ولزوجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنّكُما مِنَ الجَنَّةِ فتَشْقَى ».

« ١١٧ سورة طه »

وشعر إبليس بمدى الخطأ الذى وقع فيه .. وهاله معصيته لله .. وبدلا من الاستغفار والندم أراد أن يشاركه آدم وزوجه فى الخطأ وتوعدهم بالغواية والضلال فقال بما تنص عليه الآيات الشريفة :

« قالَ ربِّ بِما أغْويتنى لأُزينَنَّ لهُم فىِ الأرضِ ولأُغوينَّهمُ أجمعين ، إلاَّ عبادكَ مِنهُم المُخْلَصِينَ ».

« ٣٩ ــ ٤٠ سورة الحجر »

وكل النعم التى أنعم الله جل شأنه بها على آدم وحواء لم تكن إلا كباقى أنعم الله على كل ماخلق .. فضلا منه ورحمة .. ليس لها من

رد .. وليست هى مقابل .. ولكنها بر ولطف وكرم وعطاء وليست استحقاقاً للعبد أو لحاجة إليه أو جزاء .

وحتى تدوم هذه النعم جميعاً لآدم وحواء نهاهما الله جل شأنه عن شجرة لايأكلان منها .. شجرة واحدة دون آلاف الشجر الذى فى الجنة .. إذ أنها شجرة لايناسب أكلها أهل الجنة .. فهى تهضم مكونة فضلات يجب أن تخرج من الجسم .. وما يهضم منها يتغذى عليه الجسم الترابى فتتضح معالمه حيث يطغى على الروح وبذلك يميل الإنسان إلى الأرض التى خلق جسده الترابى من عناصرها .. ويتحتم عليه حتى يعيش بعد ذلك أن ينزل إلى المستوى الذى أصبح يليق به إذا ما أكل من الشجرة الوحيدة التى نهاه الله عنها ونهى حواء أيضا ويكونا قد ظلما أنفسهما وذلك بنص الآيات الكريمة :

« ويَاَ آدَمُ اسكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجَنَّة فكُلاَ مَنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمينَ ».

« ١٩ سورة الأعراف »

ويكفى أن يأمر الله سبحانه وتعالى ليطاع .. ولكن رحمته بعبده آدم وبحواء جعلته يوضح لهما سبب الأمر حتى لايظلما أنفسهما إذا أكلا من الشجرة .. فهل فكر آدم فى ذلك ؟.. بل هل فكر فى غير ذلك ؟..

لو تفكر آدم فى النعم التى أنعم الله عليه بها .. مافكر إطلاقاً فى أن

يقترب من هذه الشجرة لا أن يأكل منها ..

ولو تفكر آدم فى قدر السعادة التى هو فيها .. ما فكر إطلاقاً فى أن يستزيد منها إذ لا زيادة عليها لمستزيد ولا متسع لأكثر منها ..

ولو فكر آدم فيما كان من شأن إبليس معه إذ سجدت له الملائكة فيما عداه حيث أبى واستكبر.. ما استجاب له أو استمع إليه ..

ولو .. تفكر آدم فيما توعده به إبليس إذ هدده بمحاولة غوايته ورسم طريق الضلال له .. ما سلك الطريق الذى رسمه له .. بل ما اقترب من أى طريق يكون لإبليس أثر عليه .

لم يفكر آدم .. ولكن إبليس فكر .

فكر إبليس كيف يغوى آدم وحواء .؟.. إن الخلود فى الجنة هو أقصى مايطمع فيه آدم وحواء .. وأن يظلا ملكين هو منتهى أملهما .. وأسعد أمنياتهما .. فليحاول إذاً غوايتهما من هذا الطريق .. فهمس إليهما كاذباً بأن الله سبحانه وتعالى نهاهما عن الأكل من الشجرة المحرمة حتى لايصبحا ملكين أو من الخالدين وذلك بنص الآية الشريفة من القرآن الكريم :

« فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ماوورِيَ عَنهمَا مِنْ سَوْءَاتِهِما وَقَالَ مَا نَهاكمَا رَبُّكمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِين . وقَاسَمُهما إِنِّى لكَما لَمِنَ النَّاصحينَ » .

« ٢٠ ــ ٢١ سورة الأعراف »

ودون تفكير من آدم وحواء .. اندفعا ليأكلا من الشجرة .. ليصبحا ملكين أو من الخالدين. فهل فكر آدم أو حواء فى أنه لم يقل أحد أنهما لن يخلدا فى الجنة أو يظلا ملكين دون أن يأكلا من الشجرة ؟.

وهل فكرا فى أن فى الأكل من الشجرة المحرمة معصية لله . واستجابة للشيطان ؟. وأكلا من الشجرة .. ووضحت معالم الجسد الترابي وظهرت لهما عوراتهما ولم يجدا إلا بعض أوراق الشجر يحاولان أن يتسترا بها ولكن هيهات وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ونَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَم أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عدوٌّ مُبِينٌ ».

« ٢٢ سورة الأعراف ».

وكان لابد أن يخرجا فضلاتهما فى مختلف صورها .. ووجدا الحرج واستشعرا الخطأ فيما ارتكباه .. حقا لقد ظلما أنفسهما بنص الآيات الكريمة :

« قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ».

« ٢٣ سورة الأعراف »

فلا مناص إذاً من أن يهبطا إلى الأرض التى تناسب ما أصبحت

عليه حالتهما وأمرهما الله بأن يهبطا إلى الأرض .. بعد أن يهبطا فى المرتبة .. فقد هبطا فى المنزلة قبل أن ينزلا إلى الأرض وذلك بنص الآية الشريفة .

«قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » .

« ٢٤ سورة الأعراف»

ونزل آدم وحواء إلى الأرض .. وتناسلا .. ثم تناسل الأبناء .. فالأحفاد .. وكنا نحن بعض هذا التناسل .. على الأرض ..

فهل لو فكر آدم فيما كان فيه .. وما كان عليه .. ولم يستجب إلى غواية الشيطان كما كان يجب عليه .. هل كنا نحن الآن نسلا لآدم وحواء بطريقة ما .. فى الجنة ؟.. أم أن آدم قد اطلع على لوحة الغيب وهو فى الجنة ورأى أن حياته لابد أن تتم فى الأرض .. فأكل من الشجرة ؟.. وهل كان يجب عليه أن يرتقب لحظة نزوله إلى الأرض بغير أن يستمع إلى وسوسة الشيطان له .. فيعصى الله .. أيا كانت أسباب مبررات أكله من الشجرة ويكون نزول آدم وحواء إلى الأرض نزولا دون هبوط فى منزلتهما ودون غضب من الله عليهما فالله جل شأنه قد غضب عليهما نتيجة معصيتهما له ، وبعد أن ندم آدم تلقى من ربه كلمات الاستغفار والتوبة وذلك بالنص الشريف :

« فَتَلَقَّى آدمُ مِن رَبِّهِ كَلمات فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم ».

« ٣٧ سورة البقرة »

وهكذا فكر الشيطان ولم يفكر آدم فكانت النتيجة حياة البشر على الأرض بكل ما بها وبكل ما فيها من حياة وموت وخروج وذلك بالنص الكريم :

« قَالَ فِيهَا تَحْيَونَ وَفِيهَا تَموتُونَ ومنها تُخْرجُونَ ».

« ٢٥ سورة الأعراف »

وتستمر المحاورات .. محاورات الشيطان مع نسل آدم وحواء .. مع أجدادنا وآبائنا ومعنا نحن ومع أولادنا وأحفادنا .. فهلا نتفكر فيما يوسوس به الشيطان إلينا فنعرض عن كل مايزينه لنا من طرق الغواية ؟. وهل نتفكر فيما أرسله الله لنا من هداية فى كتاب حكيم على رسول كريم بدين عظيم ونستجيب لما يدعونا إليه فلا يكتب علينا الخوف من شيء فى الدنيا ولانحزن من أمر فى الآخرة وذلك بنص الآية الشريفة :

« قُلْنَا اهْبطُوا مِنْها جمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكمُ منِّى هُدًى فَمَنْ تَبعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَهُمْ يحْزَنُونَ » .

« ٣٨ سورة البقرة »

العقل وما حوله وما وراءه

العقل ..

الذكاء ..

الذاكرة ..

الفكر ..

الخ ..

ترى هل كل هذه المسميات لشيء واحد ؟. أم أنها ظواهر لشيء آخر لم يكتشف بعد ؟. أو أن كلا منها إنما يقوم وحده ويختلف فى عمله وشكله ونظامه عن غيره .. وهل كلها من قبيل المادة أم أن بعضها من صور الطاقة ؟.

لقد ظل العقل موضوع دراسة الإنسان منذ بدأ يكتشف نفسه ويبحث عن وجوده .. واختلفت الآراء حوله اختلافاً كبيراً فقد قيل إن العقل جوهرة مكانها داخل رأس الإنسان .. وقيل بل إنه تموجات واهتزازات أثيرية خارج جسم الإنسان وتعلو منطقة رأسه ..

وقيل إنه من عطاء الله للإنسان ، وكما تختلف الناس فى أرزاقها وتتباين فى أشكالها فإنها تتفاوت فى عقولها .. وأن لكل فرد بذلك عقله المحدود الذى كتبه الله له كما كتب عليه رزقه وصحته وعمره .. وآخر ما قيل فى العقل أنه منطق فهو يستمد حقائقه من البيئة التى يعيش فيها الإنسان ويؤثر فيه غذاء الإنسان وطريقة معيشته ويتوقف إلى حد كبير على ما يتلقاه من علم ومعرفة وعلى ما يمارسه من عمل وتجربة .. ولكن لماذا يختلف الإخوة فى قدراتهم العقلية وهم من أصل واحد وفى بيئة واحدة وظروفهم العلمية متشابهة ؟..

ولعل الشيء الوحيد الذى استطاع العلماء بدراسته أن يتقاربوا فى تعريفه ويضيفوا فى معلوماتهم عنه هو المخ .. إذ أنه مادة أمكن رؤيتها وتشريحها ومراقبتها ووضع الدراسات المستفيضة عنها .. فالمخ يزن ثلاثة أرطال من مادة هلامية مغلفة فى مكان دافئ مظلم من الرأس وهى ذات لون رمادى مائل إلى الحمرة تشبه المطاط فى ملمسها . والمخ فى حجم الكرة الصغيرة ويحميه سائل خاص تختلف طبيعته عن كافة السوائل الأخرى ويتميز بميزة تجعله ينفرد عن غيره من السوائل فهو يمتص الصدمات التى قد تصيب المخ نتيجة سقوط صاحبه أو تلقى ضربات على رأسه .. ويغلف المخ والسوائل غشاء خارجى يتميز بالصلابة الشديدة بل إنه أكثر أجزاء الجسم صلابة ليكون المخ فى حماية تامة من أى أثر لما قد يحدث له نتيجة حوادث قد تصيب الإنسان بل لما تسببه مجرد اهتزازات الإنسان وهو يمارس

شئونه العادية التى لابد أن يتحرك بدرجة ما بها طوال اليوم .

ويوجد ستة وثمانون عصباً تربط المخ بسائر الجسم وتتفرع هذه الأعصاب إلى أخرى أدق وتتشعب وتنتشر حتى تصل إلى أقصى مكان فى الجسم إلى أبعد جزء فيه فتربط المخ بجذر كل شعرة فى الرأس وبأظافر القدم .. وبذلك فإن مجموع أطوال هذه الشبكة من الأعصاب لايمكن التكهن به .. إلا أن الخلايا العصبية الموجودة بالمخ عددها ١٣ بليوناً من الخلايا أى مايوازى خمسة أضعاف عدد سكان العالم فى مخ كل إنسان .. ونشاط مركز القيادة لهذه الشبكة من المواصلات العصبية فوق الوصف .. فلا يقتصر هذا النشاط على تلقى الحركة والألم وإصدار مايتبع بشأنها فى كل مناطق الجسم بل إنه يتلقى مقدماً صورة صادقة للمتاعب المتوقع حدوثها ومن ثم يقدر مايجب عمله لمواجهتها ويستقبل أيضا سيلاً مستمراً من المعلومات عن كل التفاعلات الإنسانية فى جسم الإنسان .

وتوجد صحيفة رمادية من الخلايا تغطى المخ وهى ذات ثنيات متجعدة .. ولو قمنا بفرد هذه القشرة لشغلت مساحة تزيد على قدمين وبذلك فإن مساحتها تبلغ مساحة صحيفة من الجرائد اليومية .. ويقول العلماء إن هذه القشرة هى العقل .

وللمخ أجزاء كثيرة أهمها المخ الرئيسى وهو أكبرها والمخيخ ومعناه

المخ الصغير ثم النخاع المستطيل وهو الجزء الذى يصل ما بين المخ والنخاع الشوكى .

هذا هو الوصف العلمى للمخ والذى تتفق فيه آراء كل العلماء .. ولكن هل أمكن معرفة كيف يعمل المخ ؟.. لقد ظلت المحاولات التى بذلها العلماء للوقوف على سر المخ تتلاحق منذ أن بدأ الإنسان يدرس نفسه لمعرفة الحياة وحتى الآن .. وكلما تعمق فى دراسة ازداد الغموض وتشابكت الأسرار وازداد جهل الإنسان بالمخ .. فمنذ آلاف السنين والإنسان يحاول أن يعرف سر المخ فلا يصل إلا إلى شواهد عمله وظواهر قدرته .. فيقول أبوقراط فى المخ منذ ٢٣٠٠ سنة (ويجب على الناس أن يعلموا أن البهجة والسرور والضحك والرياضة والحزن والكآبة واليأس والنواح لا تأتى إلا من المخ وأننا بوساطة المخ وبطريقة خاصة نتعلم الحكمة والمعرفة ونرى ونسمع ونعرف الطيب من الردىء والصالح من الطالح والحلو من المر وإننا بوساطة المخ نميز كذلك بين الأشياء اللذيذة وغير اللذيذة وأن نفس الأشياء ذاتها لاتسرنا دائماً وأننا بوساطة العضو ذاته نصبح مجانين وفى حالة هذيان وأن الخوف والرعب يقومان بملاحقتنا فى الليل أحيانا وفى النهار أحياناً أخرى) .

ويقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة فى عصرنا الحديث عن المخ : يتكون المخ من كتلة

رخوة بيضاء هشة جدا تملأ الجمجمة والعمود الفقرى وهو يستقبل الأعصاب الحسية التى تصل إليه من سطح الجسم ومن أعضاء الحس ويتصل عن طريقها اتصالا مستمراً بالكون كما يتصل فى الوقت نفسه بكافة عضلات الجسم عن طريق أعصاب الحركة وبكافة الأعضاء عن طريق الأعصاب الفرعية التى تتجه صوب الجهاز السمبتاوى الكبير وعلى هذا فالكائن العضوى يتخلله من كل جانب عدد هائل من الأعصاب وتنتشر الأعصاب الفرعية المجهرية بين خلايا الجلد وحول أغلفة الغدد وقنواتها وداخل مسالك الشرايين والأوردة والأغلفة القابضة فى المعدة والأمعاء وعلى سطح الألياف العضلية . إنها تبسط شبكتها الدقيقة فى الجسم بأسره وهى جميعاً تنبثق من الخلايا التى تقطن الجهاز العصبى المركزى والسلسلة المزدوجة من العقد السمبتاوية والتجمعات الصغيرة المنتشرة فى الأعضاء . وهذه الخلايا هى أسمى وأرق عناصر الجسم وتترابط الخلايا العصبية فيما بينها بفضل شبكة كهربائية وهى تنقسم إلى طائفتين تشمل إحداهما الخلايا العصبية المستقبلة والمحركة التى تستقبل مؤثرات العالم الخارجى أو الأعضاء وتوجه العضلات وتشمل الطائفة الأخرى خلايا الترابط العصبية التى تضفى بعددها الهائل على المراكز العصبية فى الإنسان غناها وتعقدها . نحن نجهل مايحدث فى الأعصاب فى حالة الألم أو الحركات الإرادية وكل مانعرفه هو أن تغيراً فى الطاقة الكهربائية ينتقل على طول العصب أثناء نشاطه ويعجز إدراكنا عن الإحاطة بمجال

المخ عجزه عن الإحاطة بعالم النجوم وتحتوى المراكز العصبية أكثر من اثنى عشر مليارا من الخلايا تتحد فيما بينها بألياف تنبثق من كل منها تفرعات متعددة وهى بفضل هذه الألياف تجتمع بعضها مع بعض عدة ترليونات من المرات وهذا الجمع الهائل على الرغم من تعقده الذى يفوق كل تصور يعمل كما لو كان شيئا واحداً تماماً إنها تبدو لنا نحن الملاحظين الذين ألفوا بساطة الآلات والأدوات الدقيقة كظاهرة عجيبة فوق متناول الأفهام) .

ويقول العالم والدمار كمفرت (لم يوفق إنسان بعد إلى الكشف عن الطريقة التى تعمل بها هذه الكتلة القبيحة من المادة ذات اللون الرمادى والتى تسمى بالمخ الذى يقوم بعملية التفكير وقشرته البالغة التجعيد ، وكل ماتأكد حتى الآن أن المخ ماهو إلا جهاز كهروكيماوى وليس بمحرك أو بآلة حاسبة أوتوماتيكية ولن نستطيع مطلقاً أن نقلد خلق المخ عن طريق الأجزاء الميكانيكية والأنابيب الألكترونية المستخدمة فى آلاتنا الحاسبة . فالمشكلات لاتدفع إلى هذه الآلات إلا بعد أن يصوغها علماء الرياضة ويوقعوها على شكل أشرطة أو بطاقات مثقوبة أما إذا تمكنت الآلة الحاسبة من صياغة مشكلاتها فإنها عندئذ تنبض بالحياة وقد تشابه المخ) .

هذا هو المخ الذى يهيمن ، ينظم كل أمور الإنسان ويدير حركة الناس فى أنحاء العالم وبالرغم من ذلك فليس فى استطاعة البشر أن

يعرف كيف يعمل المخ وكل ماكتب عنه يجعل من أمره قضية غامضة وكل ماعرف عنه يزيده تعقيداً وغرابة .

والأعاجيب التى يلاحظها الدارسون والعلماء على عمل المخ مما يزيد أمره تعقيداً ويجعله من الأسرار التى تشير إلى قدرة الله وعظمته وتنطق بأدلة وجوده جل شأنه ، فالمخ منذ بدايته أمره عجيب ففى الشهر الأول للحمل تبدأ قشرة المخ فى الظهور وذلك قبل أن تتميز وتتضح الأعضاء المختلفة للجنين وتأخذ هذه القشرة المكونة من طبقة رقيقة من نسيج رمادى فى الانتشار على السطح العلوى للمخ الآخذ فى النمو . والمخ والقشرة ينموان قبل الميلاد بسرعة أعظم من الأعضاء الأولى وكأن ذلك يشير إلى أفضلية المخ على باقى الأجهزة وإلى أهمية العقل ودوره الأساسى فى حياة الإنسان . ويعتبر الإسراع فى النمو إلى درجته القصوى فى الجنين مقدمة للولادة .. التى ينتقل بها الطفل من مكان آمن هادئ مظلم إلى مكان آخر تكثر فيه الضوضاء والأضواء وهذه من شأنها أن تهاجم أعصاب المخ بشدة ومن شأنها كذلك أن تؤثر تأثيراً مفاجئاً ضاراً بقشرة المخ التى تتأثر باختلاف الضوء والحركة والصوت مهما يكن الاختلاف ضئيلا ... ولذلك نرى القدرة الإلهية تتدخل فيولد الطفل لايسمع ولايرى حتى لايتأثر مخه لاسيما القشرة المخية بهذا التغيير المفاجئ وبعد بضعة أيام يبدأ الطفل رويداً رويداً يسمع ... ثم بعدها يبدأ يميز الضوء والظلام ... وهكذا على مراحل زمنية وبخطوات وئيدة منظمة يبدأ المخ فى عمله .. وإنه

لعمل خطير ورهيب .. إذ يظل يعمل وينمو إلى درجة يعود بعدها القهقرى ليصبح كما كان .. بسيطا عاجزاً عن الإلمام بما كان عليه ..

ونمو الإدراك وزيادة المعرفة وتنمية الذكاء أمر عجيب الشأن غريب الحال وفى ذلك يقول الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه الإنسان ذلك المجهول (يوجد تفاوت كبير فى مقدار الذكاء الذى ينفرد به كل شىء ونوعه . فإذا نظرنا إلى الناس من هذه الزاوية وجدنا بعضهم عمالقة وأكثرهم أقزاماً . يولد كل إنسان مزوداً بقوى عقلية منوعة .. على أن هذه القوى كبيرة كانت أو صغيرة تتطلب لكى تظهر مرانا متواصلا كما تطلب أيضاً أحوالا فى الوسط لم تحدد بعد على وجهها الصحيح وهناك أمور تنمى المقدرة العقلية .. ملاحظة شاملة عميقة واعتبار الاستدلال الدقيق ودورات المنطق واستخدام اللغة الرياضية والرياضة الذاتية .. وهناك عوامل أخرى تيسر أو تعوق نمو الذكاء وتوجد على الأخص فى نمط الحياة وفى العادات الغذائية ولكن أثرها غير معروف على وجهه الصحيح. والعقل حتى يبلغ أوجه يتطلب طائفة من الأحوال على أن البشرية لم تحاول في أى وقت من الأوقات اكتشاف طبيعية تلك الأحوال . ولسنا ندرى شيئاً عن منشأ الذكاء ونحن نتصور أنه يمكن تنميته بتدريب الذاكرة وبالتمرينات العملية فى المدارس) .

ويؤكد العلماء أن للدراسة والبيئة والغذاء أثرها الفعال على قدرة

الإنسان فى اكتساب الذكاء ولكن كم من آلاف التجارب وملايين المشاهدات أثبتت عكس ذلك وأكدت عدم صحة هذه الأقوال على الأقل فى بعض الحالات . وكم للإنسان الفرد منا من تجارب شخصية تشير إلى أن الذكاء إنما هو موهبة وعطاء من الله سبحانه وتعالى دون أن يكون للإنسان أو الظروف أيا كانت أى دخل فيها . ومن التجارب العملية التى تحتويها الدراسات العلمية حادث سيارة النقل المحملة بالبضائع والتى انحشرت داخل نفق بحيث أصبح من المتعذر حركتها تماماً وتجمع أمامها وخلفها عشرات الناس من مختلف الثقافات والأعمار ولم تخرج مقترحاتهم لإنقاذ الموقف أكثر من محاولة توسيع النفق بمعالجة الجدران بالآلات ولكن كيف يمكن ومن المستحيل إخراج شحنة السيارة لأنها تكون مع السقف كتلة واحدة أو تحطيم جسم السيارة من الخلف أو الأمام .. حتى خرج اقتراح من طفل لايتجاوز العاشرة هو ابن حمال متجول يساعد والده فى نقل بعض الأحمال ولم ينل من الدراسة شيئاً يجعله على المستوى المألوف لطفل فى أى مرحلة من مراحل التعليم فإذا به يقترح إطلاق بعض الهواء من إطارات السيارة ولقد كان .. إذ انخفض ارتفاع السيارة إلى درجة سمحت لها بالمرور داخل النفق ولم يصدر هذا الاقتراح من أى فرد من الجمع المحتشد والذى كان يضم مختلف العقول والأفهام .

ويحتار العلماء فى الذاكرة .. وكيف تخزن ملايين الصور لمختلف الحوادث بل والتفاصيل الدقيقة لكل حادثة وأحيانا الأصوات التى

صاحبت كل حادثة ودرجتها والألوان التى لازمت هذه الحوادث ثم كيف تضعف وتهرم هذه الذاكرة بمرور الزمن وكيف يختار الإنسان صورة بعينها من ملايين هذه الصور ليربطها بحادث وقع بل الحقيقة أنه لا اختيار للإنسان لما يقع ولكن تتداعى الصور المناسبة للحادث لتخرج فى ربط دقيق بين الماضى والحاضر.. ومما يزيد أمر الذاكرة غرابة ويجعلها موضع العجب أن الإنسان لايذكر شيئا فى حياته إلا منذ فترة تصل إلى السنوات الأولى ولاتقل عن الثلاث السنوات الأولى من عمر الإنسان فى الغالب فهل ياترى لاتنطبع على مخ الطفل الصور إلا فى سنته الثالثة أو الثانية أم أنها تنطبع ولكن لايستطيع المخ استرجاعها إلا منذ هذا العمر للإنسان؟ لقد توصل العلماء والأطباء فى روسيا إلى اكتشاف مرض يصيب الإنسان ومن أعراضه أنه يرجع بذاكرته إلى أيامه الأولى فى حياته بل إلى لحظات مولده .. فيتذكرها تفصيلا ولايمكن للإنسان أن يصل بذاكرته إلى هذه الفترة من حياته إلا عن طريق إصابته بهذا المرض ويحاول العلماء حالياً إيجاد وسائل علمية تقوم مقام هذا المرض ليسترجع فيها الإنسان بذاكرته حوادث ميلاده وما وقع له فى اللحظات التالية لمولده وإلى ماقبل السن التى يستطيع أن يتذكرها عادة ويتذكر ماوقع له فيها .

إن كل ماهو حول العقل وكل ماوراءه عجيب وغريب .. وأى عجب وأى غرابة !! ترى لماذا ينبغ هذا الطفل نبوغا فريداً بينما

شقيقه لايلاحظ عليه أى أثر للنبوغ ..! وكيف أن طفلا دون الحلم يؤلف القطع الموسيقية التى يعجز عنها كبار أساتذة الموسيقى وكيف يحل غيره المسائل الحسابية المعقدة ؟. والأعجب أن نجد مخ العباقرة الذين سادوا العالم باكتشافاتهم العلمية أو بهروا الناس بخططهم العسكرية أو لفتوا الأنظار بروائع كتاباتهم لايختلف إطلاقا عن أى مخ لإنسان عادى .

وحساسية المخ من الأمور التى تثير فى الإنسان الدهشة .. فإن أى اختلال طفيف فى خلية من ملايين الخلايا الموجودة بجهازه تؤثر على الإنسان نفسه تأثيرا شديداً .. ففقدان الذاكرة حيث ينسى الإنسان نفسه تماماً فلا يعرف اسمه أو سكنه أو عمله قد تكون بسبب مرض طارئ على جزء صغير من المخ أو بسبب ضربة غير مقصودة على جهة معينة فى الرأس ، كما أن رؤية الأشباح غير الموجودة واختلاف الألوان والأشكال المرئية عن حقيقتها تكون بسبب وجود خلل طفيف على أجهزة المخ .. بل ثبت أنه يوجد نوع من نبات الصبار اسمه كوكتيس إذا مضغ الإنسان قطعة من ورقه يتحسس أحاسيس شعورية ليس لها وجود موضوعى وتتخذ الأشياء العادية فى ناظريه أشكالا وألوانا وظلالا عجيبة .

ويوجد فى أسفل المخيخ قطاع اسمه الدوسيريرى من ضمن أعماله المحافظة على نسبة تركيز الدم فهو يضبط ويعدل فى عمليات الكليتين

حتى تسرع أو تبطئ فى استخلاص الماء من الجسم لتزيد أو تنقص من نسبته فى الدم كما يقيس هذا القطاع تركيز السكر فى الدم فإذا نقصت النسبة آثار فى الإنسان الشعور بالجوع وهو مايعرف بالجوع الكاذب بل إنه يتدخل فى إثارة شعور الإنسان بالرغبة فى تناول السكريات .

ويتأثر المخ بحالة الجسم كما يؤثر فيه .. إلا أن تأثير المخ فى الجسم أبعد وأعمق وأوسع من تأثير الجسم فى المخ فبعض الأمراض العضوية قد تصيب المخ بآثارها الضارة ولكن حالة المخ تصيب الجسم مباشرة وتؤثر فيه تأثيراً قوياً واضحاً فأى اختلال فى أى خلية من المخ يظهر أثره واضحا على الإنسان عضويا وعقليا .. ويتأثر المخ بما قد لايتأثر به الجسم .. فالخمور تؤثر على العقل قبل أن يتأثر بها الجسم وكذلك المخدرات .. وما الأحاسيس غير الطبيعية والتهيؤات غير الحقيقية التى تصاحب الإنسان عند تناوله هذه المواد إلا آثاراً لاختلال العقل وإصابته . ولذلك فإن المداومة على هذه المواد أو الإفراط فيها يصيب العقل إصابة حتمية قد تؤدى إلى فقدان قدرته على العمل فيصاب الإنسان بالجنون أو الذهول أو ماشابه ذلك .

وإذا كان الإنسان يستطيع أن يحيا لفترة ما بلا غذاء .. أو لدقائق بلا هواء .. فإن المخ لرفاهيته ورقته لايستطيع الحياة بلاغذاء أو هواء ، بل إنه العضو الوحيد فى الجسم الذى يطلب دائماً الهواء

ومزيداً منه ، وأى نقص فى الأكسجين الذى يصل إليه يسبب إصابات شديدة قد تؤدى إلى الموت فهو فى حاجة دائمة إلى أكسجين يتجدد .. وبالرغم من وجوده داخل هذه العلبة المغلقة تماما والمغلفة بأصلب أنواع العظام .. وبالرغم من دقة الشرايين التى توجد فيه فإنها تنقل إليه الأكسجين دائما وأبداً ومهما تدق هذه الشرايين وتضيق بمرور الزمان فإنها تعمل دائما على نقل الأكسجين إلى المخ .. ولشدة رقة المخ ورفاهيته كذلك فإن خلاياه أول ما يموت من خلايا الجسم وبموتها يتأكد موت الجسم ولاسبيل لعلاجه . فقد يقف نبض الإنسان .. وقد يتعطل قلبه .. وقد تتلف رئته .. وقد تموت كليته ويمكن بالرغم من ذلك الحفاظ على حياته .. أو إعادة عمل هذه الأعضاء إلا المخ فإنه إذا ماتت خلاياه أو أصيبت أنسجته بالتلف استحال علاج الإنسان ولمات يقينا .

وفى أواخر السبعينيات أعلن مركز بحوث الألم فى كلية الطب بجامعة كاليفورنيا أنه قد تم اكتشاف مادة يفرزها المخ وتوجد فى السائل النخاعى الشوكى لجسم الإنسان اسمها بثيا اندروفين تساعد بدرجة كبيرة على تخفيف الألم أى ألم قد يصيب الإنسان .

هذا هو المخ .. الجهاز العجيب الغريب .. الذى وهبه الله للإنسان ليسيطر به على الحياة وليدبر به شئونه .. وليشير به إلى آيات قدرته وعظيم حكمته وبديع صنعه وعميق رحمته .. وكل دراسات

فيه إنما لتزيده عمقا وتجعله من الأسرار التى قد لايصل الإنسان إطلاقا إلى الكشف عنها .. فالمخ وما حوله وما وراءه .. من الأعاجيب التى لاينتهى عرضها .. والتى لايمكن الوصول إلى نهايتها .. وهو العضو الذى دائما يشتغل .. حتى عندما تغفو الأعضاء الأخرى .. وهو العضو الذى ينقذ الإنسان دائما فى أحرج مواقفه وأخطر مايتعرض له .. دون أن يتدخل الإنسان فى ذلك .. فهو الإنسان .. وبدونه .. لايصبح الإنسان .. كذلك ..



هل يفكر الحيوان ؟ وهل يفكر النبات ؟

يقول البعض إن الحيوان يفكر.. ويقول البعض الآخر إن مايظهر على الحيوان من أنه فكر إنما هو غريزة أو أفعال مكتسبة .. والغالبية تقول إن النبات لايفكر وليست لديه أفعال مكتسبة أو غريزية .. إلا أن الحقيقة أن الحيوان على مختلف أشكاله وتنوع أصنافه كان ومازال موضع الدراسة العميقة ولابد لهذه الدراسة من أن تستمر وتتطور إلى أن تصل إلى الحقائق العلمية التى لا تقبل الشك أو الجدل إذ تضيف الدراسات فى كل يوم إلى معرفتنا بالحيوان جديداً لم نكن نعلمه .

ولقد كان الفكر عند الحيوان من أهم ما اتجه إليه العلماء بالبحث والدرس بعد أن شاهدوا تصرفات يأتيها تدل على ومضات من ذكاء.. وتشير إلى عقل بحد ما وإلى درجة معينة ولايمكن إرجاعها إلى الغريزة تلك الكلمة المطاطة التى نتجه إليها كلما أعجزنا الأمر عن تبين حقيقة والتى يقول عنها ج . ارثر تومسون (إن كلمة غريزى هى إحدى الكلمات المستعملة بإفراط فى لغتنا وأن تنوع استخدامها لخليق بأن يبعث الحيرة فى كل عقل مفكر) .. وما أبعد الفارق بين الغريزة وبين الفكر أو الذكاء.. فالعنكبوت يصنع بيته

نسيجاً من طراز معين يطابق النوع الخاص به ولايختلف الرأى فى أن نسيج العنكبوت لبيتها بهذه الطريقة التى تتميز بها أمر غريزى . ولكن القطة التى اشتعلت فى فرائها النيران فجرت مسافة قصيرة تبحث عما يخفف من ألم الحريق ثم ألقت بنفسها فى حوض به ماء .. هذه القطة لابد أنها استعملت فكرها يقيناً . فليس من غريزة القطط أنها تلقى بنفسها فى الماء بل إن من غرائز القطط أنها تخاف الماء ولذلك فإنها لاتستحم وإذا أجبرت على الاستحمام فبعنف وقسوة وكثيراً ماتصيب حاملها بالجروح .

فالغريزة علميا هى أعمال متأصلة فى نفس الحيوان انحدرت معه من أسلافه فهى أثر حياته الأولى . ولكن تصرف الحيوان فى مواقف معينة جديدة عليه لم يمارسها إطلاقاً فى حياته بل لم يمارسها أسلافه من قبل لايمكن أن تسمى هذه التصرفات غريزة .. وقد كانت مثل هذه التصرفات الجديدة على الحيوان هى سبب التوسع فى دراسة فكر الحيوان وعقله .. إذ أمكن للعلماء فصل الأعمال التى تندرج تحت الغريزة عن الأعمال التى يقوم بها الحيوان ولايمكن أن توضع تحت الغريزة . وهذه الأعمال الأخيرة استبعد منها العلماء مايكتسبه الحيوان من التدريب والمران الذى يحصل عليه من أبويه أو من صاحبه إذ أنها بذلك قد لاتشير بالقطع ونهائياً إلى وجود عقل وفكر للحيوان .. فعندما تنبش الدجاجة الأرض لتعلم صغارها طريق البحث عن الغذاء فتقوم الصغار بهذا العمل يكون تدريباً اكتسبته الصغار من

الأم وقد لايشير إلى وجود عقل أو فكر للدجاج .. وكذلك فى تعليم البط لصغاره العوم .. وماتقوم به الكلاب من حراسة ورعى .. إنما هو كذلك من قبيل التدريب الذى قام به صاحبها . وتتوسع التدريبات والتمرينات بحيث أمكن استخدام عدد من الحيوانات فى أعمال تحتاج إلى مهارة . ويوضح السيرك إمكان قيام الحيوانات بأعمال لايمكن أن تكون غريزية ولكن لايمكن أيضاً أن تكون دليلاً قاطعاً على وجود عقل أو فكر لدى الحيوان إذ يقول العلماء إنها أعمال اكتسبها الحيوان من التدريب والتمرين .. ولكن ألا يشير هذا التدريب والتمرين وتلقى الحيوان له واكتسابه خبرة مامن هذه التدريبات والتمارين إلى وجود عقل للحيوان ؟ .. وهل كل مايقوم به الحيوان بلا تدريب أو تمرين يؤكد وجود عقل وفكر له ؟ يقول العالم منروفوكس أستاذ علم الحيوان عن تجارب لإثبات وجود عقل وفكر للحيوان (وضع صندوقين مغلقين وعلبة من الصفيح فى حجرة خالية وعلق فى سقف هذه الحجرة خيط ينتهى بأصبع موز ثم أدخل إلى الغرفة قرداً لم يكن ليستطيع الوصول إلى أصبع الموز المدلى من السقف وهو واقف على الأرض فمكث برهة ينظر إلى أصبع الموز والصندوقين والعلبة ثم هرول مسرعا إلى الصندوقين فوضع أحدهما فوق الآخر ومن فوقهما العلبة ثم اعتلاها واستطاع أن يصل إلى أصبع الموز ولم يسبق لهذا القرد أن اعترضته عقبة شبيهة بهذه من قبل . فمن الواضح أن القرد أعمل فكره فى كيفية الوصول إلى أصبع الموز واستنبط أنه

لكى يصل إليه لابد أن يضع الصندوقين والعلبة فوق بعضها وقد وصل إلى هذه النتيجة بعد تفكير. ففكر وجمع الأسباب والدلالات حتى وصل إلى النتيجة المرجوة. والتفكير طبعاً لا يمت بصلة للأعمال الأخرى التى يتعلمها الحيوان بالتجربة والمحاكاة).

وقامت شمبانزى بتثبيت عصا قصيرة من الغاب فى الطرف الأجوف لعصا أطول حتى تتمكن من الوصول إلى فاكهة خارج قفصها وهذا لاشك يدل على ومضة من ذكاء نتيجة عقل وفكر.

ومن الملاحظات المسجلة علميا أن بعض القردة من نوع الشمبانزى كان قفصها فى ساحة بها دجاج واعتاد واحد من الشمبانزى الجلوس قرب حافة القفص ويمد يده بقطعة من الخبز إلى الدجاج فإذا ما اقتربت دجاجة لتأكل الخبز أدخل يده بسرعة وكان يكرر هذا العمل طوال اليوم ثم بعد ذلك لوحظ أنه قد اتفق قردان منهما على أن يمد أحدهما يده بقطعة الخبز إلى الدجاج حتى إذا اقتربت دجاجة للأكل ضربها الآخر بعصا كان يخفيها فى القفص وصارا يكرران هذا العمل كل يوم. وبديهى أن ذلك يشير إلى عقل وفكر وذكاء اتفق القردان فيه وقام كل منهما بعمل متمم لعمل الآخر بل بعمل لاحق على عمل أول.

وليست هذه هى التجارب العلمية الوحيدة التى قام بها العلماء بل توجد ملايين التجارب وملايين الملاحظات التى أثبتها العلماء على

مختلف أصناف وأنواع الحيوان .. والمشاهدات الفردية العادية للإنسان يمكن أن تؤكد لكل متدبر أن للحيوان عقلا وفكراً على قدر ما ... وعلى مستوى معين .. فطائر السمان عند مايجد قوقعة وقد استحال عليه أن يخرجها من صدفتها نجده تلفت حوله حتى يجد حجراً فيسرع بالقوقعة ليدقها على الحجر حتى تنكسر الصدفة وتظهر القوقعة التى يلتهمها .. أليس ذلك من سبيل الفكر والعقل ؟.

ومعرفة الحيوان لصاحبه ومبادلته الحب ومشاركته فى أحواله بهجة أو حزناً .. ألا يشير إلى عقل وفكر لدى الحيوان ؟ وحوادث مصاحبة الكلاب لجنازة أصحابها واعتكافها عند القبر بلا غذاء أو ماء حتى تموت عديدة ووقعت وتقع فى كثير من الأحيان . كما أن هدوء الكلب تحت قدمى صاحبه عندما يخلد صاحبه إلى الهدوء ... ثم قيامه معه .. ولعبه معه عندما يستشعر حاجته إلى اللعب ... واستكانة الكلاب وحزنها عندما تجد صاحبها كذلك إنما هى من الأدلة على وجود عقل وفكر للحيوان .

وعندما يدور النمل حول بقية من حشرة ميتة يريد أن ينقلها إلى مسكنه ثم يحاول سحبها مرة ثم مرة ثم يعالجها بطريقة غير السحب ثم إذا فشل أرسل نملة إلى حيث تستدعى بعض أفرادها .. وبعد محاورة قصيرة ومعاينة بسيطة يتعاون كل الأفراد فى سحب الفريسة .. ألا يدل ذلك على عقل وفكر للنمل ؟.

وقصة القردة التى خدرت عالماً عندما حاول تخديرها تدل على ارتفاع مستوى الذكاء لدى بعض الحيوانات بصورة واضحة فيقول جون فايفر (تحتل ماجى الثالثة عشرة وهى قردة من فصيلة الشمبانزى يبلغ عمرها ١٣ سنة مكاناً فريداً فى سجلات الأبحاث العقلية . فهى لم تنشأ قط فى منزل مع الأطفال ولم تجلس إلى المائدة مثل البشر.. ولم يلتقط لها صور وهى تلبس القبعة والفستان أو وهى تدخن سيجار.. ولم تكن ماجى من النوع الذى ينفع لإجراء التجارب المنزلية عليها ولكنها كانت ذكية بطريقتها الخاصة .. وفى عام ١٩٤٣ أرسلت ماجى إلى معهد ألينوى للأمراض العصبية لإجراء بعض الدراسات الخاصة ووصلت فى قفص حديدى عليه بطاقتان كتب عليهما « احذر » و « خطر » يلائمان شهرتها كمشاغبة من الدرجة الأولى بين حيوانات الشمبانزى التجريبية . وتولى عالمان بارزان من علماء المخ مهمة إخراج ماجى من قفصها فألقيا على القفص قماشاً مشبعاً بالقار ثم رميا فى داخله عدة أرطال من الإتير المخدر وكانت الفكرة ترمى إلى تخدير ماجى ونقلها بسهولة وهى نائمة . وفشل أول عدوان بالإتير وتطلع الطبيبان بحذر من تحت القماش فوجدا أن ماجى كانت فى نشاطها الطبيعى التام وقاما برش كمية أخرى من الإتير وبالقاء نظرة ثانية وجد أن الأمور تسير على مايرام وفتح أحدهما باب القفص واقترب من الشمبانزى الراقدة بلا حراك وفى تلك اللحظة وثبت ماجى متأهبة للمعركة ثم قفزت إلى سطح المائدة وهى تزمجر

منتصرة وتحدت المشاهدين المتجمعين أن يقتربوا ويمسكوا بها ولم يقترب منها أحد وسرعان ما أخليت الغرفة وبقيت ماجى وحدها وأغلق الباب عليها وسكبت كميات من الإتير فى أنابيب التهوية ولكن ماجى كان يبدو عليها أنها اكتسبت مناعة ضد عقار الإتير وأنها ظلت محتفظة بكامل حواسها وبعد ذلك غمس أصبع من الموز فى عقار النمبوتال وهو مخدر قوى وألقى به فى الغرفة ولكن ماجى تذكرت هذه الخدعة وأكلت الجزء غير المبتل ورمت الباقى الملوث بالعقار. ثم وضع بالقرب من الباب داخل الغرفة كوب من الماء مختلط بعقار مخدر إلا أن ماجى فطنت لهذه الخدعة أيضاً فقامت بسكب الماء فى الحوض ثم ملأت لنفسها كوباً من الماء العذب وتكررت المحاولات دون جدوى إلى أن نام الطبيب الذى كان يشرف على تخديرها بسبب استنشاقه كمية كبيرة من الإتير خلال محاولات تخدير ماجى. ومازالت ماجى الثالثة عشرة تذكر باعتبارها الحيوان الذى استطاع أن يخدر عالماً. وقصتها هنا تقدم مثالا آخر على أن ذكاء الحيوان قد يكون ذا مرتبة عالية. فإذا ما أعطيت الحيوانات فرصة عادلة فإنها قد تتصرف بشكل يدعو إلى العجب. وفى إحدى الدراسات الحديثة تفوقت القردة باستمرار على جماعة من تلاميذ مدرسة للحضانة وتمكنت جميع القردة من حل مشكلة صعبة جدا تحتاج إلى درجة فائقة من التذكر بينما فشل جميع الأطفال فيما عدا واحداً نجح فى حلها عن طريق الغش).

وهكذا يتأكد الذكاء فى تصرف هذه القردة وأن ماقامت به إنما يدل على وجود عقل لها قد استعملته ، وأنه قد واتتها أفكار فيما يقصد بها، وفيما يمكنها أن تتخذه حيال موقفها، وهذا يعتبر سلوكاً ذكياً ولايقترب من السلوك الغريزى بأى حال، إذ أن الغرائز أعمال ذاتية أوتوماتيكية وهى أشكال من أعمال تورث ولا تكتسب بالتعلم والحيوان حين يقوم بعمل غريزى لايدرك الفكرة من عمله .. فالحشرات التى لاتضع بيضها فى أنفاقها إلا بعد أن تعثر على دودة تلسعها لتخدرها وتسحبها إلى داخل النفق وتضع عليها البيض وتسد النفق لاتعلم الهدف من ذلك ولا ترتبه، فإنها الغريزة إذ تعمد كل حشرات هذا النوع إلى ذلك فالأنثى لن ترى صغارها حين تفقس وتخرج من البيض لتتغذى على الدودة وهى مازالت قاصرة عن البحث عن غذائها ، فلا يكون العلم أو التجربة أو الملاحظة أو الفكر هو السبب فى ذلك ولكنها الغريزة. ويقول منروفوكس عالم الحيوان (وهناك نوع من الزنابير تضع بيضها على جرادة مخدرة بدلا من يرقة وتدفنها مع البيض والغريزة الجديدة فى هذا النوع هو طريقة الزنبور فى سحب الجرادة المخدرة إذ يسحبها من قرون استشعارها ، فإذا قطعنا قرنى استشعار الجرادة عجز الزنبور عن سحبها مع أنه يستطيع أن يجرها من واحدة من أرجلها الست أو واحد من أجنحتها الأربعة ولكن غريزته تحتم عليه أن لابد من سحب الجرادة من قرنى استشعارها ، ولذا لا يستخدم غيرهما ، وإن شئنا دليلا آخر على ثبوت

الغريزة وأنها فى بعض الأحيان لايظهر منها نفع للحيوان فإن هذه الحشرة وهى الزنبور الحفار غنية بالغرائز. فالزنبور بعد أن يجر الجرادة إلى باب النفق الذى حفره يتركها على باب النفق ملاصقة لبابه ويدخل النفق وكأنه يفتشه ليأمن على وضع بيضه، فلو تركنا الزنبور يدخل النفق وأبعدنا الجرادة قليلا عن بابه فإنه حين يخرج يسحب الجرادة مرة أخرى ويلصقها بالباب من جديد ويدخل النفق يفتشه مرة أخرى ، ويمكننا أن نجعل الزنبور يكرر هذه العملية وقتاً طويلا بهذه الطريقة . فغريزته تحتم عليه ألا يدخل الجرادة إلى النفق إلا إذا كانت ملاصقة لبابه ، ولا يفهم أن الطريق مأمون إلا إذا كانت الجرادة بالباب ملاصقة له، فلما أبعدت الجرادة عن باب النفق بضعة سنتيمترات اضطرت لأن تسحبها مرة أخرى للباب ، ولما كانت الغريزة عمياء ذاتية أتوماتيكية فهى لاتفهم أن الطريق آمن ولن تفهمه مادامت لم تجد الجرادة ملاصقة لباب النفق) .

والمتأمل للحيوانات المستأنسة التى تعيش مع الناس فى المنازل والمتدبر لأحوالها يتأكد بما لايدع أى مجال للشك أو الارتياب فى أن للحيوان عقلا يفكر به .. فالقطة التى صادفتها مرة حنفية ماء تتساقط منها قطراته فشربت عن طريقها فتتجه كلما عطشت إلى مكان هذه الحنفية وتعتلى أى مكان يجعلها قريبة منه دون أن تبتل إذا ما كانت تحتها كأن تجلس على حافة بانيو فى الحمام أو على مقعد قريب منها وقد تمكث غير قليل فى مكانها منتظرة من يفتح لها الحنفية .. لاشك أن

هذه السلسلة من الأفعال قد استعملت القطة فى أدائها عقلها وفكرها .. فهى قد تركت كل ماء مكشوف يكون قد أعد لها أو يكون قد ترك بالمصادفة ولابد أنها وهى صغيرة لم تشرب من الحنفية وإنما جاء شربها منها مصادفة مرة فاستحسنت هذه الطريقة . لذلك فكلما عطشت فكرت فى الحنفية فاتجهت إليها ولادخل للغريزة إطلاقاً فى ذلك فأسلافها الأوائل لم تشرب من الحنفية يقيناً .. ثم إنها فكرت كيف تشرب دون أن تبتل فيما لو جلست تحت الحنفية فاتخذت مكانها بجانبها فى مكان يعلو الأرض .. ثم إنها لو وجدت الحنفية محكمة الإغلاق فإنها تنتظر من يستعملها وقد تذهب إلى صاحبها فتتمسح به وتصدر مواءها وتسرع إلى طريق الحمام وكأنها بذلك تحدثه بعطشها وتطلب منه أن يتوجه لفتح الحنفية .. والحيوانات التى يظهر عليها أنها تحلم فى منامها كما يحدث كثيراً للخيل والكلاب والقطط إذ أحياناً ماتصحو من نومها فزعة وتصدر أصوات الاضطراب وتقوم بحركة تنم على أنها تكملة لحركة كانت عليها أثناء نومها أو أنها علاج لموقف كانت فيه مما يؤكد أنها كانت فى أحداث منامية .. والأحلام واستيعابها إنما هى أمر لايتصل بحاسة البصر أو السمع أو الذوق أو اللمس قدر ما يتصل بالمخ والعقل والإدراك .. فكل مايتم من أحلام سواء أكانت أحلاما منامية أو من أحلام اليقظة إنما هى أمور يختص بها العقل ويعيها وتختزن فى الذاكرة وقد يظهرها العقل بعد اليقظة إن كانت منامية وقد يختزنها إلى وقت آخر وقد يحتفظ بها أبداً فلا

يتذكرها الإنسان إطلاقاً .. وهذا مايحدث كثيراً فكل إنسان قليلا مايذكر حلمه .. مع أنه يحلم دائماً .. وكل ليلة ..

ولم يقتصر العلماء فى دراستهم لعقل الحيوان وفكره على المشاهدات العملية والتجارب المعملية .. والملاحظات اليومية .. بل إنهم اتجهوا كذلك إلى الدراسات التشريحية والأبحاث العضوية حيث تأكدوا من وجود مخ لكافة الحيوان .. ووجود خلايا عصبية هى التى تختص بالعقل والفكر وإذا كان للإنسان ١٣ بليون خلية عصبية فإن لعقل النمل ٢٥٠ خلية عصبية وللنحل ٩٠٠ خلية .. وعدد هذه الخلايا بالنسبة لحجم عقل النمل والنحل وجسمه أمر لايمكن التغاضى عنه إذا ماقورن بعدد خلايا مخ الإنسان وحجمه وحجم جسمه .. مما يؤكد وجود عقل ما .. وفكر لدرجة ما فى الحيوان ..

وأما النبات فالعلماء فى حيرة من أمره ودراستهم له تضيف لمعلوماتهم كل يوم جديداً تجعله أكثر تعقيداً وأشد غرابة مما يعتقدون .. فجسم النبات يختلف عن جسم الحيوان والإنسان فى تشريحه ولايوجد به الجهاز العصبى الذى يشرف عليه المخ وبالتالى لايوجد جهاز المخ بالنبات فلا عقل له من الناحية النظرية وكذلك من الناحية التشريحية . وظل العلماء على هذا الاعتقاد إلى أن اتسعت آفاق الدراسات وتعددت وسائل البحث فظهر من أمر النبات عجب وأى عجب .. الأمر الذى أدى بالعلماء إلى أن يتخلوا عن معلوماتهم السابقة ومعتقداتهم التى ظلوا عليها إلى وقت قريب . فالنبات له

شعور وعنده إحساس ويتأثر بكل ما يتأثر به كل كائن حى من عوامل الألم أو السعادة .. مسببات القلق أو الراحة .. بل إنه يستمع إلى الموسيقى ويطرب لها وتؤثر على حالته من مختلف نواحيها .. فتزيد من إثماره وتسرع من نموه .. وقد تمكن العلماء من قياس درجة استجابة النبات إلى الموسيقى وتأثره بها الأمر الذى أثبت إحساسه بطريق عملى وعلمى . وقد تغيرت بهذه الأبحاث نظرة الإنسان إلى النبات .. وأمكن تعليل الصورة المتغايرة التى يراها الإنسان عليه فى ظروفه المختلفة. فالشجرة فى الخريف توحى بغير ماتوحى به فى الربيع بغض النظر عن تساقط أوراقها فى الأول ونموها فى الثانى إذ يحس الإنسان بأن الشجرة فى الخريف يعلوها الأسى والحزن أو على الأقل الاستسلام الممزوج بالأسف .. بينما يمر الإنسان على نفس الشجرة فى الربيع فيجدها مرحة سعيدة أو على الأقل تبدو عليها مظاهر الحياة والبهجة .. إن الأمر لم يعد كما كان يظن الإنسان أولا مجرد فكرة الإنسان عن الخريف والربيع .. بل إن الحقيقة لتشير إلى أن الإنسان ينظر إلى كائن تعتمل داخله كل أحاسيس الربيع وكل شعور الخريف .. وقد أكد هذا الرأى التجارب المعملية القياسية التى قام بها العلماء على النبات فوجدوا أن حالته العامة تتدهور إذا ما أصيب بإصابة مباشرة كأن تنفذ إبرة فى ساقه أو جذره حيث تعلو النبات سحابة من ألم تجعله يشابه حالته فى الخريف .. أو إذا تغيرت ظروفه البيئية ولو لفترة قصيرة .. كما لوحظ على النباتات التى وضعت فى

أقمار صناعية لتجوب الفضاء حيث توقف نموها مؤقتا وتغير مظهرها تماما نتيجة قلق شديد اعتراها لوجودها فى بيئة مغايرة تماما لما تعودتها .. وما إن عادت إلى الأرض حتى عاد إليها نموها ومظهرها الطبيعى .. بل لوحظ زيادة معدل النمو وتغير حالتها إلى أفضل مما كانت عليه قبل رحلتها وكأنها تضاعفت سعادتها وزادت بهجتها بعودتها إلى مقرها وإلى جنسها وإلى الأرض التى نشأت فيها .

ويعتقد العلماء حتى الآن أن مخ النبات فى جذوره وأن الشعيرات الجذرية التى تمتد منه وتتفرع عنه إنما هى أشبه بالشبكات العصبية فى الإنسان والحيوان ، فلقد ثبت أن الجذر بأفرعه وشعيراته يقوم بأعمال غاية فى الغرابة والعجب .. الأمر الذى يؤكد أن تصرفاته إنما هى تصرفات عقل وفكر .. فعند توغل الجذر بأجهزته داخل التربة يصادف كثيراً بعض الصخور والأحجار التى تعوق مروره فيقوم بإفراز مواد يصبها على هذه الأحجار لإذابتها .. فإذا لم تستجب أفرز غيرها ويظل يكرر هذه المحاولات حتى إذا وجد أن هذه الأحجار لاتقدر إفرازاته على تحليلها اتجه إلى مسلك آخر وهو تجنب هذه الصخور والأحجار والعوائق وعمد إلى الالتفاف حولها فى أقصر طريق مع تكوين شعيرات جذرية سريعة وعديدة تعمد على الحفاظ على وضع هذه الأحجار بحيث لاتتحرك فتصيب الجذر وتعوق طريقه .. ولازالت الأبحاث مستمرة .. ومازال الاجتهاد قائماً ومازال علم الإنسان قاصراً عن الوصول إلى الحقائق الرهيبة التى

تفيض بها كائنات هذا الكون العجيب .. الذى يشير إلى قدرة خالقه .. ويدل على عظمة مبدعة .. ويثبت وجود حاكمه .

فعندما نشاهد حيواناً قد استرخى فى هدوء ينظر إلى بعيد وكأنه يلقى بنظرة تائهة نظن أنها نظرة بلهاء من كائن لا يعقل ولا يفكر .. قد يكون هذا الحيوان يفكر فى أمر أشغله .. أو يدبر من شأن أقلقه .. والراجح بل المؤكد أنه يسبح بحمد الله .. ويعبده .. فلقد هداه فكره يقيناً إلى نوع من المعرفة .. المعرفة بخالقه .. دون نقاش أو جدال ودون شك أو ارتياب .. وعندما نمر بنبات قد قام .. فلنتأكد أننا نمر بكائن حى يفيض بكل مشاعر الحياة .. وأنه يحس ويعقل .. ويشقى ويسعد .. وأنه فى هدوئه .. أو تمايله .. فى لحظات إزهاره .. أو ساعات نموه .. إنما يهتز فرحاً أن أحس بالحقيقة الأولى فى الحياة .. وجود الله وعظمته .. وما أصدق ذلك العابد التقى الذى كان إذا مر بالنبات حياه فى صمت .. ويقف أمامه فى مناجاة بلا ألفاظ .. وإذا سئل قال هذا أخى النبات .. خلقه كما خلقنى الله .. فلعله يحيينى وأنا أمر .. فلماذا أرتكب ذنباً بألا أرد له التحية .. ولماذا لا أبدأ أنا بتحيته ...

إن الحيوانات والنباتات إنما تسبح بحمد الله .. كما تسبح له كل الأشياء .. وحتى تسبح لله .. لابد لها من عقل وفكر وإدراك .. وإنها لحقاً تسبح ولكن لا نفقه تسبيحها وذلك ما يقوله القرآن الكريم فى الآية الشريف :

« تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوات السَّبْعُ والأرضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِنْ شَىٍءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُم إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ».

« ٤٤ سورة الإسراء »

لماذا نضحك ؟ ولماذا نبكى ؟

لعل أول ما يبحث عنه الإنسان عند مايبدأ يومه فى الصباح ... هو مايلتمس به ابتسامة ترتسم على وجهه لسبب أو غيره ... فقد يطل من نافذته على شجرة بعيدة.. أو وردة قريبة.. وقد يتابع ببصره طائراً صغيراً يجوب أرجاء الفضاء .. وإذا لم يجد فإنه قد يطيل النظر إلى قطع السحاب وقد تناثرت بألوان جميلة وأشكال لطيفة .. وهى تسير فى تواكب وانتظام .. ثم تتعثر وتتابع سيرها بلا عقبات ودون ارتطام .. وقد يلجأ إلى جهاز الراديو يستمع منه إلى تلاوة من الذكر الحكيم وغيره .. قد تصدفه قطعة من الموسيقى يطرب لها .. ومالهفة الإنسان على صحف الصباح إلا صورة من الرغبة فى البحث عما يسبب للإنسان الراحة .. ومن ثم البسمة المنشودة .. ويبدأ الإنسان عمله بعد ذلك .. وأياً كان هذا العمل .. فإنه يحاول أن يكون مبتسما بل إنه يجتهد ويجد فى خلق الابتسام ... وما ابتسامتك وأنت تحيي زميلك أو تخاطبه إلا التماساً منك للبسمة .. ويؤكد ذلك أنك تبتسم وأنت تحادثه دون أن تراه .. كما تحدثه بالتليفون .. أو الإذاعة .. ويظل الإنسان طوال يومه فى محاولات متلاحقة للابتسام ..

والابتسام ليس فى أساسه غاية .. وإنما هو وسيلة للضحك .. فالإنسان يبتسم تشجيعا لنفسه على الضحك فإذا فشل مرة تكرر منه الابتسام مرة ومرات لعل الابتسامة تتطور إلى ضحكة .. هى غاية مايبغيه الإنسان ..

والضحك لايختص ببعض دون آخر... بل إنه كان غاية الإنسان منذ خلقه .. وقد اختص به قوم يخترعون المواقف .. ويؤلفون القصص .. حتى يضحك الناس .. ولأهمية الضحك فإن التاريخ يروى على مدى الأجيال أن كل من استطاع أن يستأجر من يضحكه فقد فعل .. بل كانت تعقد الندوات .. والجلسات .. إذا كان فيها الشعر والأدب .. والموسيقى والغناء .. فلابد من جانب فيها يختص بالضحك .. وقد اهتم الإنسان بأسباب الضحك اهتماماً بالغاً وكبيراً بل إن هذا الاهتمام يتزايد يوماً عن الآخر .. ولذلك نجد أن الصحف والمجلات تفرد لمسببات الضحك أبوابا متعددة وتستعين بالكلمة والصورة على إضحاك القارئ .. بل إن هناك مجلات قد اختصت بما يثير الضحك .. والإذاعة وكافة الفنون قد اهتمت كذلك بالضحك وتحاول دائما أن تدفع الإنسان إليه بل إنه قد تخصصت مسارح لنوع ضاحك من التمثيليات وحتى التمثيليات الأخرى الجادة أيا كانت أنواعها وأهدافها لابد أن تتضمن بعض المواقف التى يضحك فيها المشاهد حتما .. وتتعدد الوسائل .. وتتشابك المسببات وكلها تهدف إلى أن يطلق الإنسان ضحكة يشعر معها أن شيئاً هاماً قد حدث له .. داخل نفسه ..

وكل إنسان لو تفكر فى نفسه لوجد حقا أنه أثناء الضحك وبعده قد تغير بعض الشيء .. عضويا .. ونفسيا .. ومزاجيا .. فمن الناحية العضوية تتحرك بالضحك عضلات لا تتحرك إلا به .. فالضحك علميا ومن الناحية العضوية هو (شهيق عميق يتبعه تقلصات تشنجية قصيرة متقطعة للصدر والحجاب الحاجز ثم فتح الفم وجذب جوانبه إلى الخلف وإلى أعلى قليلا ورفع العضلات الدائرية ثم تخرج أصوات الضحك المعروفة والتى تتنوع كثيراً باختلاف الناس) .. ومن الناحية النفسية يحس الإنسان أنه قد أخرج بالضحك طاقة مكتومة كانت وكأنها تجثم على نفسه .. وأما من الناحية المزاجية فإن الإنسان بعد الضحك يكون أسعد حالا .. وأهدأ بالا ..

ولقد ظل العلم منذ فترات بعيدة وحتى الآن يبحث فى الضحك .. محاولا الوصول إلى سره .. وكلما وصل فيه إلى نظرية قامت نظرية أخرى تهدمها من أساسها .. وكلما تقدم فى البحث كلما ابتعد عن معرفة السر يقيناً .. فقد قال فرويد إن الضحك وسيلة لإحداث توفير فى صرف الطاقة النفسية أو إرضاء وقتى لدافع محظور .. وقال ماكدوجل بل هو وسيلة لصون النفس من الإجهاد والاكتئاب الناتج عن ميلنا إلى الإفراط فى إظهار المشاركة الوجدانية .. وقال غيرهما من علماء النفس إننا نضحك لأننا نفتقر إلى مشاركة الآخرين شعورهم ولأننا نحس بعظمة مفاجئة عندما نكتشف شيئاً من الامتياز فى أنفسنا بالنسبة إلى ضعف الآخرين ..

وهكذا لم يتفق علماء النفس وكبار أساتذته على رأى فى الضحك وأسبابه .. وبديهى أن كل هذه النظريات يهدمها ضحك الأطفال حتى فى أيامهم الأولى دون أن يشعروا بأى امتياز على غيرهم .. ودون أن يحسوا بإجهاد واكتئاب يحاولون صرفه عن طريق الضحك .. وراجت نظريات أخرى كلها تحمل مثل هذه الآراء فقال هربرت سبنسر أستاذ الفلسفة أن الضحك حركة لتصريف الطاقة الفائضة للتهيج الذهنى .. وبديهى أن كثيراً ممن يضحكون ليس لديهم أى فائض لتهيج ذهنى .. بل إن بعضهم عندهم تخلف ذهنى بأى درجة .. وأحياناً إلى أكبر درجة ..

وهكذا لم يصل العلم حتى الآن إلى حقيقة السر الذى يجعل الإنسان يضحك .. بل لم يصل إلى تعريف صحيح للضحك .. وكل ماوصل إليه أنه عملية طبيعية فطرية يختص بها الإنسان وحده دون الكائنات الأخرى .. فالحيوانات والطيور والحشرات .. قد تظهر سعادتها بحركة فى أعضائها .. كهز ذيل الكلب وتمسح القطة بصاحبها .. وقفزات القرود .. وهمهمة الخيل .. ولكنها لا تضحك إطلاقاً .. حتى الببغاء الذى يقلد الإنسان وتخرج منه الكلمات الواضحة لا يمكنه تقليد الإنسان فى ضحكه ..

ويختلف الناس فى عمق الضحكة التى يطلقها الفرد .. وفى نغمتها .. وفى سبب الضحك .. فما يضحك أحدنا قد لايضحك الآخر بتاتاً .. بينما قد لايثير فى غيره أكثر من ابتسامة باهتة .. وفى غير

ذلك .. قد تثير فيه ابتسامة عريضة .. ومايضحكنا فى مناسبة .. قد لايضحكنا فى أخرى .. لو تغيرت حالة المناسبة .. فقد يتعثر طفل فيقع فى الشارع . فننزعج ونسرع إلى معاونته .. ومحاولة إصلاح حاله .. وقد يقع رجل ضخم فنجد الضحك قد أصاب كل من شاهدوا منظره .. وإذا وقع العجوز .. فزعنا وجزعنا .. وإذا تغير وقت الحادث .. قد يتغير حال الإنسان .. فالعامل لو تعثر فى مصنعه ووقع .. من النادر أن يضحك عليه من يشاهدونه .. فهناك حوادث تثير الضحك فى وقت ولاتثير غير الأسف فى مناسبة أخرى .. الأمر الذى يؤكد أن الضحك كذلك يتوقف على المناسبة التى وقع فيها الأمر الذى يثير الضحك .. والشخص الذى وقع له الحادث .. بل إن النكتة تقال .. ويتفاوت أثرها فى النفس تفاوتاً كبيراً يحكمه الشخص الذى يلقيها والظروف التى تقال فيها .. وحالة الإنسان لحظة سماعها .. ويختلف عمق الضحك وصوته بالنسبة لاختلاف السبب .. والمناسبة . والوقت . والمكان . وحالة الإنسان .. وسلسلة كبيرة من الحقائق تتداعى لو تفكر الإنسان فى طبيعة الضحك .. ولكنها لاتصل أبداً إلى سر الضحك ولاتقترب منه .. فلا يعرف الإنسان سره .. بل لم يحاول أن يتمسك بنظرية فيه ..

وإذا كان الضحك هو لتصريف الطاقة الفائضة للتهيج الذهنى أو لأنه حالة يضطر إليها الإنسان لإرضاء نفسه .. فكيف بالضحك يستولى على الإنسان لو داعبه شخص بلمس أحد جانبي جسمه ..

مهما تكن حالته .. بل وماهو تفسير استجابة البعض لمثل هذه الحركات وعدم استجابة البعض الآخر لها .. فهناك من لايضحكه أى دغدغة ..

ومن العجيب الذى لايمكن تفسيره .. أن الإنسان قد يضحك لو اشتد به المصاب وكما تقول الحكمة (شر المصائب مايضحك) وكذلك مايلاحظ على مرضى العقول من كثرة ضحكهم وبلا سبب .. وأيضاً على مرضى الشلل النصفى من انبعاث ضحكاتهم بدون سبب وبعمق وتتواتر .. أسباب متعددة .. وحالات غريبة .. وتناقض لايعرف أصله .. إلا أن الإنسان يضحك .. ولابد له أن يضحك .. وأنه هو الكائن الوحيد الذى يضحك .. وكثيراً ماتنهمر الدموع من الإنسان إذا اشتد به الضحك أو طالت مدته .. كما لابد أن تنقلب موجات الضحك عند مرضى الشلل إلى نوبات من البكاء .. فهل يقترب الضحك من البكاء ..؟..

إن البكاء وهو نزول الدمع من العين .. يختلف كلية عن الضحك اختلافاً شاسعاً وتاماً .. فهو نقيض الضحك فى عوامله وأسبابه ، وكذلك نقيضه فى تأثيره على الجسم .. فالضحك يستلزم فى معظم الأحيان أن يؤثر على العقل أو أن يأمر العقل الإنسان بالضحك .. فإن عملية تفكير ما .. تتم للضحك .. كربط منظر بآخر .. أو السرور بأن الإنسان لم يكن هو الذى فى هذا الحادث

أو التفكير فى نكتة تقال أو حادث فكه يروى .. أو تخيل واقعة معينة لابد أن تثير الضحك .. فالضحك أيا كان سببه .. فهو يختص بالإنسان فقط .. وهو الكائن الحى الوحيد الذى يتميز بالعقل الواعى .. ويتميز بالضحك . بينا البكاء لايختص بالإنسان وحده .. بل هناك من الحيوانات غير العاقلة ما تبكى.. وتبكى دما.. فتوجد سحلية صحراوية اسمها الضفدعة ذات القرن إذا أزعجها إنسان أو حيوان .. تتهيج ويندفع الدم إلى رأسها وتحتقن جفونها بأن تنتفخ إلى ثلاثة أضعاف حجمها ثم تنهمر من عيونها الدموع فتبكى بدلاً من الدموع دما .. والقردة تبكى وكذلك التماسيح .. ودموعها معروفة يضرب بها المثل لغزارة الدموع بلا دافع .. وكذلك عرف أن الفيل يبكى .. ومن الأعاجيب فى بكاء الحيوانات أن القردة وإن كانت تبكى فإن النوع الشبيه بالإنسان لايبكى أبداً .

ولقد كان البكاء وسببه ضمن ما اتجه إليه العلماء فى الدراسة .. فقال البعض :إن الانفعال يسبب تغيرات هامة فى الغدد الصماء .. وإن هذه تأثيرها واضح على بعض الهورمونات . وإن إفراز الأدرينالين يزداد عند حدوث انفعالات عند الإنسان .. فعن تأثير إفراز هذه المواد بتهيج الغدد ينهمر الدمع .. ويبكى الإنسان .. ولكن يتفق الناس جميعاً فى وجود هذه الغدد .. وفى التأثير المباشر للانفعال عليها فلماذا يختلف الفرد عن غيره .. فى قدرته على التحكم فى البكاء ... بل ولماذا نجد أن بعض الأجناس أسرع بكاء وأقرب دمعاً

من غيرهم . وأن الإنسان يمكنه بالتعود على ضبط نفسه .. أن يتحكم فى دموعه .. ثم ماذا عن بكاء الطفل ؟.. إن الأطفال الرضع يبكون بكاء صوتيا لادموع فيه فى الثلاثة أشهر الأولى من ولادتهم .. ثم بعد ذلك تصاحب بكاءهم الدموع ... فهل يرجع ذلك إلى الغدد وإلى النظريات التى وضعها العلم ... وقال بها العلماء عن البكاء ... قطعاً إن هناك أكثر من دليل على عدم صحة هذه النظريات وأن البكاء مازال كذلك من الأسرار التى لم يعرفها الإنسان بعد ..

وليس كل بكاء بسبب الألم أو الفزع أو الجزع أو الحزن . بل هناك أسباب عديدة لانهمار الدموع فتنهمر الدموع من الروائح النفاذة .. كرائحة البصل مثلا .. أو بسبب ضربة على الرأس ... أو عوارض مرضية فى العين .. أو بسبب التعرض للبرد الشديد .. أو لدخول مواد غريبة فى الأنف ..

والدموع من الناحية العلمية هى سائل ملحى معقم يخرج من قنوات تسمى القنوات الدمعية وتوجد فى السطح الداخلى للجفن العلوى .. ويمر من خلال الكيس الدمعى إلى الممرات الأنفية .. إلا أن بعضه يفيض ليخرج من العين ويتساقط منها هابطاً على وجناتنا ... ولذلك فإن البكاء يتلازم فيه نزول الدموع من العين والأنف على السواء .

والدموع تعتبر عملية غسل وتنظيف للعين ولذلك فإن الإنسان يحس دائماً بجلاء البصر بعد نوبة من البكاء وما عملية إفراز الدموع من العين بدخول ذرة تراب أو مادة غريبة فيها إلا محاولة طبيعية ورحمة من الله لغسل العين وتنظيفها مما دخل إليها ... وكذلك هى للأنف ... إذ تغسل طاقاتها وتزيد من حساسيتها للشم ... ونزول الدموع فى الحزن إنما هو من وسائل تخفيف ضغط الدم الذى يرتفع يقيناً بسبب الانفعال والحزن ... وكأنه صمام أمن ولولاه لكان كل محزون قد أصيب بشر لايمكن أن يتحمله الإنسان ... ومازال العلم يكتشف فى كل يوم الجديد فى البكاء .. والجديد عن الدموع .. ولكن لم يصل إلى سره بعد ..

إن الإنسان يعيش فى حياته .. يضحك .. ولايعرف كيف يضحك ... ولماذا هو يضحك .. ولكنه يريد أن يضحك ... ويلتمس كل ما من شأنه أن يجعله يضحك ... ويبكى ولا يعرف كيف يبكى .. ولماذا هو يبكى .. ولكنه لايريد أن يبكى ... ويبتعد عن كل مامن شأنه أن يجعله يبكى .. ويظل الإنسان .. بين الضحك والبكاء .. لايعرف عن حقيقتهما إلا أن الله سبحانه .. قد خلقه .. كيف شاء .. وكتب عليه ما يشاء .. ومما كتب عليه . الضحك والبكاء .. وحقا وصدقاً ما يقوله القرآن الكريم فى آياته الشريفة : « وأَنَّهُ هُوَ أضحَكَ وأَبكَى » .

« ٤٣ سورة النجم »

الغيبُ ومعرفته

لعل أهم مايشغل بال الإنسان .. أيا كان .. وفى كل عصر وزمان .. ما ستحمله له الأيام .. وما سيكون عليه مستقبله القريب والبعيد على السواء .. بل إن شغفه بالغيب يمتد حتى إلى خطاب وصله إذ يسرع فى فضه لمعرفة محتوياته .. ويتطلع إلى ما بداخل كل ماهو مغلق .. يريد أن يعرف .. ماخلف هذا الباب .. وماسيكون داخل هذا الغلاف .. وماوراء هذا الستار ...

ولقد ظلت محاولات معرفة الغيب شغل الإنسان منذ قديم الزمان .. إذ نجد هذه المحاولات أول محاولات للإنسان بعد عمليات توفير غذائه واستقرار حياته .. فأقدم ما عرف من العلم هو ما سمى بعلم التنجيم .. الذى يحاول الربط بين حركة النجوم وبين ما يقع من أحداث فى العالم نتيجة اقتراب كوكب من آخر .. أو ابتعاد نجم عن آخر .. أو وقوع الأرض فى برج معين .. أو خروجها من برج محدد .. ولما لم يشبع ذلك رغبة الإنسان فهو فى حاجة إلى تنجيم يدل على ما قد يصادفه هو نفسه .. ويبين ما سيقع له هو بشخصه .. راجت

لذلك عمليات مختلفة الأشكال .. متعددة الأسماء .. وكلها تهدف إلى محاولة التأثير على الإنسان بإعلانها أنها من علوم الغيب والمعرفة .. فمن ضارب للرمل .. إلى قارئ للورق .. ومن متابع للأثر .. إلى حاسب للاسم .. ومن راصد للنجم .. إلى فاحص للكف ..

وتنزل كل كلمة تقال للإنسان منزل التقدير طالما أنها تحمل صبغة التنبؤ بما سيقع أيا كانت درجة تعصب الإنسان ضد كل هذه المحاولات .. وما من كلمة يرمى بها أى إنسان عابر غيره تخص غيبه وتمس مستقبله إلا وتدبرها وتفكر فيها .. وما ذلك إلا للرغبة الدفينة فى نفس الإنسان التى خلقت معه والتى تطالب بمعرفة الغيب والوقوف على أسراره ..

وكل مختص بفن يورد الأدلة التى يحاول أن يثبت فيها صدق عمله .. وكل مجتهد يحاول أن يربط بين ما يقوله وما يقع .. فقارئ الكف يقرر أن خطوط يد الإنسان التى تختلف من فرد عن غيره إنما هى قصة حياته قد سطرها الله جل شأنه فى كفه .. وأنها تحمل أسراره منذ مولده إلى مماته .. وأن القارئ الممتاز للكف يستطيع ترجمة هذه الخطوط إلى أحداث المستقبل وحوادث الماضى .. وحاسب الإسم يقول إن الإسم يلهم به الأب .. وأن جملة حروف الإسم واسم الأب مع حساب النجوم ساعة المولد .. وساعة الكشف إنما تقرر حالة صاحبها ..

وبتقدم الإنسان .. وتطور أساليب معرفته .. واستخدام العلم فى كافة شئونه .. حاول جاهدًا أن يستخدم العلم فى محاولة معرفة الغيب .. فوجدنا محاولات للربط بين الأحلام وبين مستقبل الإنسان وماضيه .. باعتبار أن الأحلام سياحات روحية تتم بانطلاق الروح خارج الجسد حيث تجوب آفاقًا بعيدة هى مشارف ما سوف تكون عليه فى مستقبلها .. ويربطون بين أحلام رأى فيها الإنسان مكانًا بعينه لم يكن رآه من قبل وعرف تفاصيله .. وتمكن من أوصافه فى منامه .. ثم لا يلبث فى المستقبل القريب أو البعيد أن يراه فعلا .. فكأن هذا الحلم إنما كان نوعًا من الكشف عن المستقبل ..

ثم نجح العلم يقينًا فى التنبؤ بالأحوال الجوية .. إذ أمكن عن طريق الإحصاءات ومتابعة الكتل المتحركة من الهواء ورصد درجات الحرارة والرطوبة فى مختلف أنحاء العالم وعلى كافة الارتفاعات رسم خريطة للأحوال الجوية التى سيكون عليها العالم فى خلال الأيام المقبلة بنجاح تام لمدة خمسة أيام .. ولكن لا يمكن اعتبار معرفة درجات حرارة الجو نوعًا من الغيب .. إذ أن هذه الكتل الهوائية بدرجاتها المختلفة موجودة فى الجو .. وتتحرك وأمكن معرفة اتجاهات حركتها وبالتالى معرفة ما يكون عليه الجو نتيجة حركة هذه الكتل شمالا أو جنوبًا شرقًا أو غربًا .

ولم يجرؤ العلم بعد على محاولة معرفة الغيب بالنسبة للعالم .. أو

بالنسبة للإنسان .. فإن مستقبل الإنسان فعلا قد سطر ولكن بطريقة .. وفى مكان .. لا يمكن أن يصل إليه الإنسان مهما أوتى من العلم ..

فالله سبحانه وتعالى قد أخفى عن الإنسان غيبه وقررت آيات القرآن صراحة ذلك فى مثل الآية الشريفة :

« وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطلِعَكُم عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجتَبِى من رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ » .

« ١٧٩ سورة آل عمران »

وهذا نبى الله نوح ورسوله يقرر ذلك بالنص الكريم إذ يقول صلى الله عليه وسلم :

« وَلاَ أَقُولُ لَكُم عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ » .

« ٣١ سورة هود »

وهذا خاتم الرسل والنبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقرر ذلك أيضًا فى النص الشريف :

« قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفسِى نَفعًا وَلاَ ضَرًّا إلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَو كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاستَكْثَرتُ مِنَ الخيرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ » .

« ١٨٨ سورة الأعراف »

وقرر القرآن الكريم أن الأحلام قد يكون تأويلها حقا إذا أراد الله

كما حدث فى قصة سيدنا يوسف صلى الله عليه وسلم إذ رأى حلما فسره أبوه فى نفسه وذلك بالنص الشريف :

« إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ . قَالَ يَا بُنَىَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ».

« ٤ ـ ٥ سورة يوسف »

وقد تحقق الحلم كما تفسر ولذلك قال سيدنا يوسف بنص ما جاء فى القرآن الكريم :

« وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا » .
« ١٠٠ سورة يوسف »

هذا الغيب الذى يشغل بال كل إنسان .. والذى أراد الله فجعله غيبا لا يعرفه الإنسان .. ترى .. لماذا وجب أن يغيب عن الإنسان .. فلا يعرف ما سيقع له .. لو عرف الإنسان أن الله سبحانه وتعالى قد حجب عنه غيبه رحمة به .. وشفقة عليه .. لوجب عليه أن يشكر الله .. ويحمده .. ولا يحاول أن يستطلع الغيب .. لا لأنه لن يصل .. بل لأن الله جل شأنه حجبه عنه .. ويكفى لو تفكر الإنسان بضعة لحظات فيما يكون عليه حاله لو عرف مستقبله جملة .. أو تفصيلا .. لآمن أن جهله بهذا المستقبل إنما هو من ضمن السعادة

التى أراد الله أن يحيطه بها فى حياته الدنيا .. وأن احتجاب الغيب هو سبيل قيام الحياة .. ودورة الأيام ..

لو عرف الإنسان قدر مكسبه يوميا .. هل يسعده هذا المكسب وهو يعلمه ؟ .. ولو عرف يوم تخرجه .. ولحظة عمله . وإلى أى حد يصل إليه فى هذا العمل .. وتطورات حياته .. يومًا بيوم .. هل يجد لحياته طعمًا .. أو حركة ... بل هل يجاهد فى عمله .. وهل يعيش بأمل .. وأى أمل .. وهو لا يطمع فى شىء ؟..

ولو عرف تاريخ مرضه .. وتطوزاته .. هل يسعده يا ترى ذلك .. وهل لو عرف تاريخ موته .. ألا يشقيه ذلك .. أيا كان هذا التاريخ بعيدا .. وهل لو عرف ما سيحدث له من حوادث إذا خرج .. هل يخرج ؟ .. وهل ترى تستمر الحياة بعد ذلك ؟ أغلب الظن أن كل الناس .. سيقبعون فى دورهم .. فى تكاسل وأسف .. وفى بؤس وشقاء .. فى انتظار الحدث الأكبر الذى سيظل يترقبونه .. بقلق .. وفزع .. الموت .. وسيعيشون من خوف الموت .. فى موت ..

إن الصغير .. يسعده .. أن يحلم بأنه سيكون كبيرًا .. والمريض .. يساعد على شفائه تخيله أن الشفاء أصبح قريبًا منه .. والفقير .. يحلم بثروة تهبط عليه من السماء .. فيمضى أيامه .. وتسعد لياليه بالحلم الجميل .. وكل إنسان مهما يكن .. يعيش بأمل .. أمل كبير .. وأمل عريض .. يصوره خياله .. وينميه وجدانه .. وتتسع آماله وتتشعب

اتجاهات هذا الأمل .. حتى يملأ الأمل حياته .. فهل توجد حياة بلا أمل ؟ .. إن معرفة الغيب .. والأمل .. نقيضان لا يجتمعان ..

فهل يعيش الإنسان عالما غيبه .. ودون أمل ..

أم يعيش جاهلاً بغيبه .. وبكل أمل ..

إن الغيب هو صورة من صور رحمة الله بعباده .. وبذلك فهو دليل على وجود الله .. جل شأنه .. وصدق القرآن الكريم :

« وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُم آياته فَتَعْرِفُونَهَا ».

« ٩٣ سورة النمل »

الحظ ومدلولاته

مازالت هناك أسرار كثيرة فى حياة الإنسان .. كلما تعمق فى البحث عنها .. وتوغل فى الدراسة فيها .. وضحت له جوانب خافية منها .. وازداد جهلا بها . بل إن هناك من الأسرار مالايعرف عنها العلم شيئاً .. ولن يعرف .. لأنها فوق الإدراك .. وكل هذه الأسرار إنما تشير إلى حقائق أساسية واضحة وقاطعة .. أن هذا الوجود إنما تحكمه قوة جبارة حكيمة مدبرة .. عليمة مقدرة .. وأنه يسير وفق خطة مقررة ترتبط بكل أجزاء هذا الوجود .. ولذلك فإن مايبدو لنا من أسرار ليست من قبيل الصدف وليست دون غاية ولكنها فى الحقيقة مقدرات ثابتة .. ومقررات أكيدة .. ترتبط بغيرها .. لتظهر عظمة هذا الكون .. الرهيب .. العجيب .

ومن الأسرار التى مازلت والتى ستظل قطعاً خافية على الإنسان لايستطيع تفهمها ولاتبين حقائقها .. الحظ .. بل من العجيب أن العلم لم يصل بعد إلى تعريف الحظ .. فما هو الحظ حقا .؟ قد يقول البعض إنه عمل غير مألوف يقع للإنسان .. فإن كان طيباً سمى الحظ

الحسن .. وإن كان شرا سمى الحظ السيئ .. وقد يقول البعض إنه قضاء مكتوب لادخل للإنسان فيه .. وقع ليحول دون حادث معين أو ليحقق أمراً محدداً .. ووفق ماحققه يوصف الحظ .. وقد يرى البعض أنه من حالات الإنسان الخاصة التى يوصف بها .. فيقال بأن هذا حسن الحظ .. وهذا سيئ الحظ ..

ولكن الحقيقة التى يصل إليها الإنسان لو تفكر فى الحظ .. أنه قد يكون كل ذلك .. وأكثر منه .. وأبعد عنه .. وقد لايكون شيئاً من ذلك .. بل يكون أمره أعجب وأغرب من أن يوصف ..

فلابد قد وقع لكل إنسان فى حياته ما جعله يعترف بالحظ فيما أصابه .. ولو دقق الإنسان لوجد أنه فى كل يوم وفى كل أمر من أموره يلعب الحظ دوره الكبير فى حياته .. ولكن عدم تفكر الإنسان فيما أصابه يجعله لايرى دور الحظ فيه .. ولكن هناك تصرفات للحظ .. لايمكن للإنسان إلا أن يقف مشدوها حيالها .. ولو لم يرها بعينه .. لكانت أبعد من خرافة .. وأعجب من الحكاية ..

فكل طالب يحاول دائماً وهو على بعد خطوات من الامتحان أن يفتح كتابه ليراجع صفحة معينة أو فصلاً محدداً .. يحس أنه لم يتقنه الإتقان الكافى .. فإذا به وهو يبحث عما يريد .. يجد الكتاب قد فتح على صفحة فيحاول أن يقرأها .. استزادة دون قصد .. فيحل موعد الامتحان .. ويدخل ليجد أن امتحانه فيما قرأ أخيراً .. فيقول إنه

الحظ .. وحقا وصدقاً إنه الحظ .. ولا أكثر من حظه .. وغيره يجد الكتاب كبيرا والأبواب عديدة .. فيحاول أن يترك فصلا .. ويتقن عشرة .. ثم لايمتحن إلا فيما ترك .. حظه ..

وقصص ثراء التجار وفقرهم لاسيما أثناء الحروب والأزمات .. مازالت تتردد يرويها المعاصرون ويؤكدها الدارسون .. وكلها لاتختلف فى أسبابها .. الحظ .. ولاغير الحظ .. فهذا التاجر الذى تعاقد على بضاعة فتشابه اسمها مع بضاعة أخرى .. فأراد حجارة بطاريات .. واستلم حجارة ولاعات فألقاها فى مخازنه .. متضرراً .. آسفاً .. مكرها إلى أن يتم التفاهم مع البائع على استبدالها .. وفجأة لسبب أو غيره .. يرتفع الصنف .. الذى وصله خطأ .. عشرة أضعاف بل ومائة ضعف . وينخفض مثلا الصنف الذى كان يرغبه .. هل هذا اجتهاده وجدّه أم حظه ؟.

ونجاة الإنسان من موت محقق وهلاك أكيد دون تدخل منه .. لا يشير إلا إلى الحظ .. فقد يسير الإنسان فى طريقه .. فتستوقفه من عجلته .. عقبة سعيدة فى حقيقتها .. ولكنها سيئة فى اعتقاده .. كمن يسأله عن حاجة تافهة .. كاسم شارع .. أو ماتشير الساعة إليه . ففى الجزء من الثانية التى توقف الإنسان عندها عن سيره .. تمرق سيارة أو يقع حجر .. أو تسقط نافذة .. فى نفس المكان الذى كان سيصل إليه فى هذا الجزء من الثانية .. فينجو .. لا أكثر من الحظ ..

أو يحجز الإنسان مكاناً فى طائرة .. فيلغى مقعده لسبب أو آخر أو يتقدم إليه من يحرجه ليتنازل له عن مكانه .. فتتحطم الطائرة .. ويفر من الموت .. حظه . لا أكثر .. وحظ من جلس مكانه .. وأخذ مقعده ..

وهناك فلاح أصيب بقرحة فى معدته .. نقل من قريته إلى حيث كان أشهر الأطباء العالميين فى زيارة عابرة .. ففحصه .. ووجد المرض قد أصاب معدته بحيث انبثق جزء منها وانثقبت المعدة .. لا أمل إطلاقاً .. فكتب له مالايتصل بعلاجه .. فالأمر مؤكد .. والموت محقق .. وعاد الفلاح بأقراص للتقوية .. وأخرى لتخفيف الآلام ولا أكثر .. وفى حقله .. تأخرت عليه وجبته .. وشعر بالجوع فمد يده إلى زرعه ليتناول حبة من الطماطم .. فيأكلها كما هى .. ثم يتابع حياته .. وبعد عام يعود الطبيب فى زيارة للبلدة فيرى الفلاح أنه من الواجب عليه أن يتوجه إليه يشكره حيث شفى .. ويفحصه زيادة فى الطمأنينة فيندهش الطبيب .. ويسأله .. ويستفسر .. إن قطعة من قشر الطماطم قد غطت الثقب والتصقت بجدار المعدة وتوالى الإفراز عليها ليثبتها وتكونت الأغشية فوقها .. ويتم شفاء الرجل .. حظ .. وأى حظ .. ملايين الحوادث .. وآلاف القصص ..

وهذه كلها تمر بالإنسان كثيرا ، وقد لايتفكر فيها ، وإذا ماتأملها وتدبرها ، لأثارت فيه العجب وأى عجب .. ولكن هناك حالات

يجب على الإنسان أن يتفكر فيها حقا .. ويتدارسها فعلا .. ويبدى فيها رأياً .. ففى الحروب تحدث أمور رهيبة يكاد لايصدقها العقل من فرط غرابتها لولا أنها معروفة ومتداولة .. عشرات الآلاف من الحالات .. كل فرد استمع إلى مئات منها .. من أصحابها أنفسهم .. ولكن هناك حالات أخرى مسجلة فى وثائق رسمية أبعد من كل خيال فيقول والدمار كمفرت فى كتابه عن الفتوحات العلمية : إن من أحداث الحرب العالمية الأولى أن الكابتن هيدلى كان مراقباً فى طائرة استكشاف يقودها الليفتاننت ميكبيس وفى السادس من شهر يناير عام ١٩١٨ أصيبت الطائرة فوق الخطوط الألمانية واضطر قائدها إلى القيام بحركة غطس سقط بسببها هيدلى من الطائرة وتمشى سقوطه فى الجو مع هبوط الطائرة فى غطسها حتى إذا استعدلت طيرانها تلقت هيدلى مرة أخرى .

وفى الحرب العالمية الثانية كشف مراسل إحدى وكالات الأنباء عن حادث اجتاحت فيه موجة عاتية أحد البحارة فقذفت به من فوق المركب ثم أعادته موجة أخرى إلى سطح المركب ومازال يحمل بين يديه ثمرة البطاطس التى كان يقشرها .

وحوادث الإصابة فى الغارات الجوية والنجاة منها عديدة لايمكن أن تقع تحت حصر. وكثيراً ما نشرت الصحف عنها عشرات كحادث من هاجر من الإسكندرية ليلا لشدة الغارات عليها فوصل إلى

القاهرة فجراً ليلقى حتفه من أول قنبلة وقعت على الحى الذى وصل إليه .. بينما لم يصب مكانه فى الإسكندرية إطلاقاً وذلك فى الحرب العالمية الأخيرة .

وهناك حوادث شاذة تقع لايمكن للإنسان أن يؤمن بها لولا أنها من فرط غرابتها قد أثبتت فى محاضر رسمية .. فمما جمعه مجلس الأمن القومى بإحدى الدول من تقارير عن الحوادث الشاذة أن إحدى السيارات انزلقت فصدمت عربة أطفال صغيرة كان يجلس بها الطفل البالغ من العمر ثلاث سنوات وأطاحت به فى الجو ولحسن حظه كان يمر بجانبه أحدهم فاستطاع أن يتلقفه من الهواء .

وحادثة وقعت لشخص اندفع بدراجته فاصطدم بسيارة واقفة فارتفع فى الهواء ثم سقط فوق السيارة وإلى جواره دراجته .

وفى مدينة انفجر لغم أرضى فقذف بغطاء بالوعة عالياً فى الهواء ثم سقط فى بئر مصعد أحد المحلات التجارية ليصيب عامل المصعد حيث وقع الغطاء على رأسه بينما لم يصب اثنان من المحظوظين كانا فى المصعد ..

وقد وقعت عدة حوادث مشابهة كالرجل الذى أراد أن يعبر طريق القطار فى غير المكان المحدد لذلك وتعثرت قدمه فسقط على شريط القطار الذى صادف وصوله مسرعاً إلى حيث وقع الرجل .. فمر فوقه بقاطراته التى تزيد على عشر عربات .. ولم يحاول أحد ممن شاهدوا

هذا الحادث أن يسأل عن النتيجة قطعاً .. فلا احتمال إطلاقاً لما حدث . وقع الرجل بين شريطى القطار ومر دون أن يصيبه حتى بخدش .. أو رض .. أو جروح ..

لايمكن أن يرد ذلك إلى شيء غير الحظ .. والحظ وحده ..

وفى أبحاث العلماء عن الحظ .. قرروا أن هناك دورات للحظ الحسن وأخرى للحظ السيئ .. وذلك باعتبار أن الحظ يتبدل من حسن إلى سيئ كل فترة معينة .. وبعد كل عدد محدد من الظروف .. ولكن هل هذا هو الواقع فعلا .. إن التجربة العلمية العملية .. قد أثبتت عدم صحة هذا الرأى .. أحيانا وصحته أحياناً أخرى .. وهذا يؤكد أن الحظ لايخضع لدورات أو قوانين وضعية .. فعند عمل القرعة بقطعة نقود مثلا .. تقع القطعة على وجه واحد .. فإذا ألقيت مرة أخرى كان احتمال وقوعها على الوجه الآخر أكثر احتمالا إذا كان الحظ يخضع لقانون معين .. ولكن قد تقع على نفس الوجه .. وقد اتضح بالإحصاءات أنه لايمكن إطلاقاً التنبؤ بما ستكون عليه عملية القرعة بفرض إلقاء قطعة النقود بدون تحيز .. فقد حدث مثلا أن وقعت قطعة النقود مائة مرة على وجه واحد .. ثم فى حالة أخرى وقعت مائة مرة على نفس الوجه .. ثم اختلف العدد بحيث أن الإحصاء لم يقل إطلاقاً بأن فى كل مائة مرة يكون الوجه المعين بعدد محدد .. فالاحتمال قائم من الصفر إلى المائة لكل وجه ..

وفى الألعاب التى يعتمد فيها المكسب والخسارة على الحظ تحدث عجائب لاسبيل إلى تصديقها لأنها لايمكن أن توضع تحت أى قانون فيقول والدمار كمفرت : لقد حدث فى عام ١٩٣١ فى مونت كارلو أن سقطت كرة المائدة الخضراء فى الجيب الأسود ستا وعشرين مرة متتالية ومنذ المرات الأولى كان يحيط بالمائدة جمع غفير من المقامرين راهن الكثير منهم بمبالغ كبيرة على سقوطها فى الجيب الأحمر تعادل فرصة وقوعها فى الجيب الأسود فى كل مرة إلا أننا يجب أن نذكر أن ترجيح الجيب الأحمر إزاء ست وعشرين مرة فى الجيب الأسود كان ٦٧ مليوناً مقابل واحد . ولايستطيع إنسان أن يتكهن بتكرار هذه المرات الست والعشرين حتى ولو استمر يلعب لمدى قرون يدير فيها العجلة بلا انقطاع . ومع ذلك وقعت هذه المفارقة العجيبة .. لاتعليل لذلك إطلاقا . ولاسبب غير الحظ ..

فهل للإنسان دخل فيما يحدث له بسبب الحظ ..؟ وهل يستطيع الإنسان أن يتحكم فى حظه ؟.. بل هل من قوة فى العالم أيا كانت أن تتدخل فى خط سير الحظ فتعدل من اتجاهه أو تغير من طريقه ؟. وبذلك أليست هى إرادة الله وحده جل شأنه التى تقدر الحظ .. وتقرر حاله .. وترسم طريقه . ؟.

وهل من قوة غير قدرة الله وحده هى التى تتدخل فتفصل فى جزء من ثانية بين الخير.. والخير الوفير.. وبين الشر.. والشر

يفصل بين الدين والعلم باعتبار أن لكل منهما طريقه الذى يجب ألا يحاول التقريب بينه وبين الآخر وكما آمن بالعلم اعتقد فى الدين مؤمنًا بالله إيمانًا فطريا داخليا عميقًا .

وكخطوة تالية لذلك .. حاول الملاحدة ـ بعد نجاحهم فى فصل الدين عن العلم ـ إثارة الشك فى الدين عن طريق بيان معارضة العلم له ومخالفة الدين لما جاء به العلم. وكأن الله سبحانه وتعالى قد أراد أن يجعل العلم فى عصر العلم هو طريق الإيمان .. وأن يعمق به عقيدة التوحيد .. وأن يضيف إلى الدين طريقًا جديدًا يوصل إليه ويناسب الجيل ألا وهو طريق العلم .. فكانت المحاولات الجادة الجريئة التى ناقشت الإيمان والدين مناقشة علمية .. وعلى ضوء العلم تمت دراسة التكاليف والعبادات الدينية .. وفى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وجدنا العلم فى أدق أساليبه وإلى أبعد حدوده وأحدث صوره وأعمق مجالاته .. وفى طريق العلم وجد الإنسان الدين واضحًا قويا .. وفى طريق الدين وجد العلم سليما عميقًا .. وكم من آيات قصر العقل البشرى عن تفهم معانيها وتقصى حقائقها حتى أوضحها التقدم العلمى .. وكم من حقيقة علمية لا تفسيرلها إلا بالتسليم بوجود الله والاعتراف بقدرته وعظمته .. فى الذرة توجد القوى الجاذبة الكهربية التى تمسك بنيانها وهذا قانون علمى به تتجاذب القوى السالبة مع الموجبة وتتنافر السالبة مع مثيلتها السالبة وكذلك تتنافر الموجبة مع شبيهتها الموجبة .. ولكن فى الذرة نجد التجاذب قائماً حتى يتماسك البناء

وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم »

« ١٥ سورة النور »

عندما تنزل بالإنسان نازلة أو تحل به كارثة نجده يتولاه الفزع فقد وقع به مالاينتظره ويضج بالشكوى فإن ما ألم به لايمكن أن يكون الجزاء فإنه يقيم الصلاة ويؤدى فرائض دينه .. وليعود إليه صبره وتحل به السكينة نجد من حوله يؤكدون له أن ما أصابه إنما هو ابتلاء من الله ليختبره به .. وأن المؤمن مصاب .. وبذلك ينصرف الإنسان إلى ممارسة حياته وهمه بين جنبيه دون أن يحاول البحث عن سبب ماوقع به ..

والحقيقة أن الإنسان لو تفكر فى الأمر وتدبر آيات القرآن الكريم لوجد أن الله سبحانه وتعالى أعلم بعباده من أنفسهم وأنه جل شأنه يعلم عمل الإنسان قبل أن يهم به فهو عز وجل ليس فى حاجة إلى اختبار من أى نوع ليعلم ماعليه عباده تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .. فتقول آيات القرآن الكريم :

« واللهُ خَلَقكم ومَا تَعمَلُونَ ».

« ٩٦ سورة الصافات »

« وإنَّ ربَّكَ لَيعلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُم ومَا يُعْلِنُون ».

« ٧٤ سورة النمل »

« وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيب لاَيعلَمُها إلاَّ هُوَ ويَعلَمُ مَا فى البَرِّ والبَحرِ ومَا تَسقُطُ مِن ورَقَةٍ إلاَّ يَعلَمُها ولا حَبَّةٍ فى ظُلُمَات الأرضِ ولاَ رَطبٍ ولاَ يَابِسٍ إلاَّ فِى كِتابٍ مُبينٍ ».

« ٥٩ سورة الأنعام »

« ولَقد خَلَقْنَا الإنسانَ ونَعلَم مَاتُوَسوِسُ بِه نَفسُهُ ».

« ١٦ سورة ق »

أما أن المؤمن مصاب فهذا أمر يخالف العقل والمنطق وكذلك يخالف ماجاءت به آيات القرآن الكريم إذ تقرر آياته الشريفة أن كل مايقع للإنسان من كوارث فإنما هى بعض جزاء عمله وليست الجزاء الأكمل لما فعل إذ أن الله يعفو عن كثير مما يرتكبه الإنسان وفى ذلك تقول آياته الكريمة :

« ومَا أصابكم مِن مُصِيبَةٍ فَبِـمَا كَسَبَت أيديكم ويَعفُو عَن كَثِيرٍ » .

« ٣٠ سورة الشورى »

« مَا أصَابَكَ من حَسَنةٍ فَمِنَ الله وما أصَابكَ من سيِّئَةٍ فَمِن نَفسِكَ » .

« ٧٩ سورة النساء »

وبذلك فإن كل إنسان قد حلت به كارثة أو أصابته سيئة لابد أن يحاول دراسة سلوكه دراسة شاملة ويعيد تقييم نفسه تقييما حقيقيا وأن

يكتشف الخطأ الذى وقع به فيحاول إصلاحه والتحلل منه والاستغفار بسببه وأن يندم على مافعل ويتوب إلى الله منه ويعزم على ألا يعود إلى مثله أبداً .

وليست المصائب التى تقع للإنسان هى الحوادث الجارية التى لابد أن يمر كل إنسان بها . فالمرض لابد أن يصاب الناس جميعاً به طالت مدته أو قصرت ولكن المصيبة أن يمرض الرجل بما يعوقه عن عمله أو يمنعه من ممارسة أمور الحياة وهو فى حال توجب عليه العمل وفى ظروف تجبره على السعى .. ولكن المرض يصاب به الإنسان يوماً أو بعض يوم أو عدة أيام ثم يبرأ منه .. أو المرض يصاب به العجوز الذى لايعمل ولايطلب منه أن يعمل فلا يعتبر كارثة كما يعتبر مرض الرجل الذى توجب ظروفه عليه الجهاد فى الحياة . وكذلك الموت يعتبر كارثة إذا مات رب الأسرة وهو يعولها وليس لها من دونه من أهل الأرض عائل غيره .. ولكنه لايعتبر كذلك إذا وقع للشيخ العجوز وقد أنهى مطلوباته فأحسن تربية أولاده واستقر بهم المقام وأتم واجباته الدينية وانتهى من إعداد سبل الرحمة والسعادة فى حياته الأخرى .. والخسارة فى العمل يتبعها الربح ليست كارثة .. ولكن الخسارة المتتالية والتى تودى بأسباب العمل وتقعد صاحبها عن متابعة السعى كارثة .. وهكذا يمكن للإنسان بقليل من الفكر أن يفرق بين الكارثة وغيرها .. والمصيبة .. والأحداث التى لابد أن تصيب كل الناس لفترة وتنتهى ..

ولعل السبب لما يتردد من قول القائلين بأن المؤمن مصاب إنما يرجع إلى أن الإنسان قد يعتقد بأن مجرد قيامه بالصلاة وصومه رمضان وأدائه للزكاة قد أصبح مؤمناً الإيمان الذى يجعله فى حصانة من أحداث الدنيا وكوارث الحياة والذى به يصبح لاخوف عليه فى الدنيا ولا يحزن فى الآخرة .

فهل تدبر الإنسان حاله فى عبادته ؟..

هل ياترى يصلى الفرد منا الصلاة التى تجب ؟.. لقد كان السلف الصالح إذا قاموا للوضوء امتقع لونهم وتغيرت حالهم فإذا سئلوا عن ذلك أجابوا أتدرون لمن نستعد لمقابلته ؟.. فإذا وقفوا فى الصلاة فهم بين يدى الله .. ويا ترى على أى حالة يكون الإنسان وهو بين يدى الله ؟. وهل يا ترى يستعجل الإنسان إنهاءالمقابلة مع الله .. أم ترى يود لو طالت أمد الدهر واستقرت إلى الأبد ؟.. لو تدبر الإنسان منا صلاته .. ومايجب أن تكون عليه .. لعرف بنفسه قدر صلاته تماماً .. ومكانتها من الصلاة التى أمر بها الله جل شأنه . وهل تكرار وقوف الإنسان لخمس مرات فى اليوم بين يدى الله أثمر ثمرته وحقق هدفه فآمن الإنسان بأن ربا يراه أينما كان وفى كل وقت وكل حين فتصرف فى فتصرف فى حياته تصرف من يطلع ربه على سره وعلانيته ومن يرقبه ربه وهو وحده أو بين غيره ؟..

وهكذا فى باقى عباداته .. فهل حقق الهدف من صومه ؟.. فظل

طوال الشهر بل وبعده يشكر ربه على نعمه ويحمده على فضله بعد أن استشعر ألم الجوع وعانى مرارة الحرمان ويبذل من عطاء الله للآخرين وينفق من مال الله على المحتاجين .. أم ترى هى ساعات يصوم فيها ثم يعوض كل ما فاته فيضاعف طعامه ويفرط فى شرابه .. ولايزيد فى الصوم إلا تمسكاً بما عنده وحرصاً على ماله .. ولاينفق إلا كارهاً .. ولايعطى إلا قليلاً ..

ويتهاون الإنسان فى علاقته بنفسه .. ويخطئ فى معاملته مع غيره .. ولايجد من نفسه رادعاً ولايقيم من ضميره وازعاً .. بل نجده يحاول دائماً أن يبرر الخطأ وأن يستصغر ما ارتكب .. حتى الظن دائماً يحاول أن يجعله سيئاً بالناس .. وحتى اللفظ دائماً أبداً ماينطق به جارحاً لغيره .. إذا قال .. كذب .. أو بالغ .. وهو يرى أن ذلك كياسة وفطنة .. وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان .. ولايجد أن ذلك إلا قدرة وإمكانية ..

وإذا باع رفع السعر وخسف الوزن .. وإذا اشترى خفض الأجر وطفف الكيل ..

وإذا عامل القوى نافقه وسايره .. وإذا عامل الضعيف تجبر عليه وأذله ..

يسوءه خير الناس .. ويسعده شرهم ..

لايحب جاره .. ولايعطف على الصغير ، ولا يعاون المحتاج .

لايعيش مع غيره .. ولايبذل للناس من نفسه .. يأكل السحت ويأخذ ماليس حقا له.. ويتفنن فى تبرير ذنبه.. فهذه هدية.. وهذه علامة المحبة .. وهذه أتعاب عمل لايلتزم به .. ويحسب أن ذلك هيناً .. ولكن ما أقسى الجزاء .. وما أشد العقاب .. فإذا وقعت به كارثة ولابد أن تقع .. قال إنه يصلى ويصوم .. وأن المؤمن مصاب ...

وقد يصاب المؤمن فعلا إذا كان بين قوم يظلمون إذ أن المصيبة إذا وقعت بالقوم جزاء ما يفعله البعض منهم فإنها تعم عليهم أجمعين بما فيهم من الصالحين وذلك بالنص الشريف :

« وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكم خَاصَّةً ».

« ٢٥ سورة الأنفال »

وبذلك فلابد للمؤمن حقا أن يبصر قومه بما يحول بينهم وبين العذاب وأن يهدى على قدر استطاعته من هم فى كنفه ومن هم تحت رعايته .. فلو أن كل فرد حارب الانحراف فى بيته وبين أهله لاندحر الانحراف تماماً بين المجتمع . ولو نشر كل فرد الإيمان فى بيته وبين أهله لانتشر الإيمان فى المجتمع وأصبح المجتمع فى حماية تامة واستعصى على كل معتد إذ أن الله هو الذى يدافع عن مجتمع المؤمنين وذلك بالنص الشريف :

« إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ». « ٣٨ سورة الحج »

وقد وعد الله سبحانه وتعالى أن ينصر المؤمنين وذلك بالنص الكريم :

« إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ».

« ٥١ سورة غافر »

فلنحاول أن نعيد النظر فى علاقتنا بربنا .. ولنحاول أن نطهر قلوبنا ونزكى أنفسنا ونعمق إيماننا ولنحاول محاربة الأنحراف كل فى بيته وبين أهله .. ولنكن فى محاولتنا جادين .. حتى يتحقق لنا من ربنا النصر المبين ..

المودة والرحمة بين الزوجين

ثار النقاش طويلا ـ ولازال ـ حول مايتخذه الزوج من وسائل تعسفية ضد زوجته إذا مادب بين الزوجين الخلاف واستفحل الشر بينهما .. وماتتخذه الزوجة من طرق التنكيل والإضرار بزوجها ردا على إجراءاته .. لاسيما إذا وقع بينهما الطلاق .. ولاخلاف فى استنكار مايحدث .. ولا جدال حول سوء مايقع بين الزوجين ولكن النقاش يدور حول مايمكن أن يتخذ حتى يحول دون قيام مثل مايحدث من مشاكل ومآسى إذا ماوقع الطلاق .

والطلاق إن كان أمراً قد أقره الإسلام وأباحه فإنما لضرورة يستحيل معها قيام المعاشرة بين الزوجين وليست رخصة ليسىء الزوج استعمالها .. وحرصاً من القرآن الكريم على إبقاء الزوجية فإنه يهتم إلى أقصى حد ممكن ببقاء رابطة الزواج ودوامها فأطلق على هذه الرابطة اسم العقدة حتى يصعب حلها وليتأكد فى ذهن الرجل مدى حرص الإسلام على متانة هذه العلاقة فقد جاء فى القرآن الكريم :

« ولاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ » .

« ٢٣٥ سورة البقرة »

وقد أمر القرآن الكريم بإجراءات متعددة .. ورسم طرقاً مختلفة كلها تهدف إلى الإبقاء على الزوجية وحل المشاكل بين الزوجين فطالبت آياته الشريفة الرجل بأن يعظ زوجته إذا ما وجد فيها أمراً مخالفاً .. ثم يتدرج بعد ذلك إذا لم تستجب .. إلى هجرها فى فراشها وهذا عقاب للزوجة تحس بمرارته .. وإذا لم يفد فيها العلاج لجأ الزوج إلى ضربها ضرباً غير مبرح .. فإذا أطاعت الزوجة زوجها واستقامت فعليه أن يعود إلى مودتها ومحبتها .. وأما إذا لم تستجب واشتد الخلاف فلابد من محاولة جادة محايدة للتوفيق إذ أن الزوجة التى لاتستجيب لزوجها بعد كل هذه الخطوات الإصلاحية لابد أن يكون لديها من الأسباب مايبررها وهنا أمر القرآن الكريم بأن تشكل لجنة للتوفيق من أهل الزوج وأهل الزوجة وذلك بالنصوص الكريمة :

« وَالَّلاتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فى المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِن أَطعنكُم فَلاَ تَبغُوا عَلَيهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً . وَإِنْ خِفتُم شِقَاقَ بَينِهِما فابعثُوا حَكَماً مِنْ أَهلِه وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدا إِصلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ».

« ٣٤ ـ ٣٥ سورة النساء »

وإذا لم تجد كل هذه المحاولات فلا مناص من الطلاق .. والطلاق مرتان بنص الآية الشريفة :

« الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ ».

« ٢٢٩ سورة البقرة »

وبديهى أنه يسبق كل طلاق الإجراءات السابقة عليه من محاولات تأديبية إلى اجتماع للصلح وللزوج أن يرد زوجته فى المرتين بعد أن تكون النفوس قد هدأت وعاش الزوج منفرداً ووجد الفارق بين ما كان فيه وماهو عليه ..

أما إذا وقع الطلاق للمرة الثالثة بعد الإجراءات التى تتخذ قبل كل طلاق فإن الأمر لابد أن يكون خطراً .. وحدثا جللا .. فإن الإصرار على فسخ عقدة الزواج بعد كل هذه المحاولات الإصلاحية إنما يحمل فى معناه عدم صلاحية أى الزوجين للحياة الزوجية يقيناً .

ومهما تكن أسباب الطلاق .. ومهما يكن الخطأ فى أى جانب من الجانبين .. الزوج أو الزوجة .. فإن الإصابة تقع على الزوجة بسبب الطلاق مهما يكن الصواب إلى جانبها والخطأ من زوجها .. فهى التى تتأثر بالطلاق وهى التى تتعب فى حياتها بسببه .. فالزوج دائماً .. أكثر حركة وأبعد انطلاقاً وأقوى حجة وأعلى صوتاً .. ودائماً بحق أو بدونه نرى الاتجاه إلى لوم الزوجة .. والاعتراض عليها لأنها لم تحسن معاشرة زوجها .. أو لم تستطع الحفاظ عليه .. وإن كانت الأدلة كلها تؤكد حسن معاشرتها لزوجها ومحاولاتها المتكررة للحفاظ عليه.. فإن أهون القول الذى يتردد عندئذ هو عدم صبر الزوجة على زوجها .. واحتمالها ما كان منه ... وهنا أمر القرآن الكريم بإجراء فيه الرحمة كل الرحمة بالزوجة وإن لم يتضح كل ما يهدف إليه هذا الإجراء بعد . فقد أوجب

القرآن الكريم أن تتزوج المرأة التى طلقها زوجها ثلاثاً من زوج آخر حتى تحل لزوجها الأول مرة أخرى .. ولا يمكن أن تعود إليه إطلاقا قبل هذه الزوجية الجديدة وذلك بالنص الكريم بعد أن أورد حكم الطلاق الأول والثانى ..

« فَإِنْ طَلَّقَهَا فلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوجاً غيرَهُ ».

« ٢٣٠ سورة البقرة »

والمتدبر لهذا الأمر .. والمتفكر فيما يهدف إليه يجد أنه لفتة كريمة .. ومسحة حانية .. وعملية سيكولوجية قصد بها إعلان براءة مثل هذه الزوجة التى طلقها زوجها ثلاث مرات من كل ماقد يكون رمى بها الزوج الأول وحاول أن يلصقه بها .. بدليل زواجها من غيره .. أيا كانت مدة الزواج .. وإن كان البعض قد اتخذها عملية ميكانيكية يراد بها تنفيذ حكم الشرع العظيم للدين الحنيف دون التفكر فيما يقصد منها .. فيعقدون على المطلقة ثلاثا عقداً على زوج لساعات لتتزوج بعد طلاقها زواجا جديداً من زوجها الأول ..

حكمة فرض الزوج الآخر : وإذا تأملنا حكمة فرض الزواج من آخر وجدنا أن فى هذا الإجراء وسائل علاجية نفسية .. وعملية للمحافظة على كرامة الزوجة ورد اعتبارها .. وقطعا لكل ما قد يكون أثاره الزوج من عيوب فى زوجته أو يثيره بعد عودته إليها إذا كانت العودة بعد الطلقة الثالثة دون زواج بآخر .

وأما إذا تم الطلاق الرجعى فيجوز للرجل أن يمسكها بالمراجعة ولايجعل من رخصة الإمساك بها إضراراً لها بإطالة العدة حتى يمنعها من الزواج أطول مدة تستطيعها وذلك بالنص الآتى :

« وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمعروفٍ أَوْ سَرِّحوهُنَّ بِمَعروفٍ ولاَ تُمسكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ».

« ٢٣ سورة البقرة »

فإذا وقع الطلاق فعلا وسرحها الزوج إلى غير رجعة فالمشاهد أن الطلاق يترك فى نفس الزوجين أثراً .. أيّا كان قدره .. فهو ليس بالخير.. على أى حال .. فنجد الزوج غالباً مايلجأ إلى القانون الوضعى .. يحاول قدر طاقته حربها عاطفيا كحرمانها من أولادها .. أو ماديا كعدم دفعه نفقة لها فيطلب من الأجهزة المختصة إجبارها على أن تعيش فى بيت الطاعة .. وهى بالتالى تحاول أن تفوز عليه بما تتقدم به من إجراءات قضائية .. فهى ترغب فى نفقتها .. وهى حق لها .. وتطلب مؤخر صداقها .. وهو مقرر لها .. وهى تطلب ضم أولادها .. فى السن المقررة .. وتلتمس رؤية الآخرين ممن لايسمح لهم السن بالضم .. ويحاول الزوج .. وتحاول الزوجة .. كل على قدر إمكانياته .. الإضرار بالآخر .. فقد يستعدى الزوج رجال الشرطة على الزوجة .. لإجبارها على التوجه إلى المكان الذى يعده لها .. وقد

تتخذ الزوجة إجراءات القبض على زوجها .. مقابل نفقتها .. وهذه كلها أمور تقع فعلا .. ومازال البعض يتمادى فى السير فيها .. وهذه الإجراءات هى موضع النقاش .. والنقاش الطويل لعل البحث يسفر عما يصون كرامة الزوجة .. ويحفظ للزوج مكانته ..

ومن عجب أن كل ما قد يسفر عنه البحث والفحص والاقتراح لايمكن أن يصل إلى ماقرره القرآن الكريم فى هذا الشأن .. إذ أن آياته الكريمة قد أوردت مايحول بين الزوج أو الزوجة ، والوصول إلى مثل هذه الحالة .. ففيها الوقاية وفيها العلاج .. فتقول الآية الشريفة :

« وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفسِكم أَزْوَاجاً لِتَسكُنُوا إِلَيْها وَجَعلِ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرحمةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَتَفكَّرُونَ » .
« ٢١ سورة الروم »

وبديهى أن المودة التى أمر الله سبحانه وتعالى أن تكون بين الزوجين هى مايجب أن تكون عليه حالتها عند الاتفاق وأما فى حالة الخلاف .. فالآية تقرر بأن يكون مابين الزوجين هو الرحمة .. فالزوج يجب عليه بمقتضى الأمر الإلهى فى الآية الكريمة أن يرحم زوجته .. فلايضرها .. ولايجرح كرامتها .. ولايؤذى شعورها . ولايتخذ أى إجراء يجعلها تقف أمام محكمة أو تصحب رجلا من رجال الإدارة أو تستكره على أمر ما .. أيا كان .. وعلى الزوجة أن ترحم زوجها .. فلا

تحاول .. أن تشتط فى نفقتها .. أو تتخذ ما قديسىء إليه .. أو يضر به .. فالفارق كبير .. بين المودة .. وبين الرحمة .. والمودة فى حالة الحياة الزوجية .. والرحمة فى حالة انتهاء الحياة الزوجية ..

وهكذا رسم القرآن الكريم الطريق للزوجين .. وحدد معالم العلاقة بينهما .. زوجين أو طليقين فى لفظين قصيرين واضحين .. المودة .. والرحمة .. المودة فى حالة الزواج .. والرحمة فى حالة الخلاف .. وحقا وصدقاً :

« مافَرَّطْنَا فى الكتَابِ مِنْ شىءٍ ».

« ٣٨ سورة الأنعام »

شجرة طيبة وشجرة خبيثة

ضرب الله سبحانه وتعالى المثل للكلمة الطيبة بشجرة طيبة أصلها ثابت فى أرضها وفروعها تمتد عالية إلى السماء .. وفى كل أوان نجد لهذه الشجرة ثمارها الطيبة التى خرجت بإذن ربها .. وضرب سبحانه وتعالى المثل للكلمة الخبيثة بشجرة خبيثة تقتلع من فوق الأرض فلا قرار لها فيه إذ دائما يحاول كل إنسان أن يقتلعها وذلك بنص الآيات الشريفة من سورة إبراهيم :

« أَلَم تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصلُهَا ثَابِتٌ وَفَرعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ويضربُ اللهُ الأَمْثَال لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون . وَمَثَلُ كَلِمةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجتُثَّت مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرار ».

« ٢٤ ـ ٢٦ سورة إبراهيم »

ويرتل المسلم هذه الآيات وفى تدبر لمعانيها لابد أن يطوف بفكره ويحلق بخياله فى الشجرة الطيبة التى ضرب الله بها المثل للكلمة الطيبة والشجرة الخبيثة التى ضرب سبحانه وتعالى بها المثل للكلمة الخبيثة ..

ويختلف فكر كل إنسان عن غيره ويتباعد خيال كل مسلم عن خيال غيره .. ويرى كل فرد فى الشجرة الطيبة وفى الشجرة الخبيثة غير مايرى الآخر.

فقد يرى البعض فى الشجر الدائم الظل .. الكثير الثمر .. المتنوع الغرض .. المثل للشجرة الطيبة .. وقد يضرب بنوع معين من شجر يعرفه المثل للشجرة الطيبة .. وكذلك بالنسبة للشجرة الخبيثة .. فقد يرى البعض فيها الشجرة الجرداء التى إن استظل بها الإنسان لاتظله .. وإن طلب ثمرها لاتعطيه شيئاً .. وأنها لاتكون إلا مأوى للحشرات الضارة أو الحيوانات المفترسة أو الزواحف القاتلة .. وهكذا إذا سجل كل متدبر لهذه الآيات الشريفة خياله عن هذه الأشجار وأثبت اجتهاده فيما يراه فيها .. لوجدنا قائمة طويلة تحتوى العديد من أنواع الأشجار وأصنافه تنقسم إلى قسمين رئيسيين أشجار طيبة وأخرى خبيثة .

وكما يرى الإنسان الرأى فى أمر ثم يعدل عنه إلى غيره إذا ماصادف رأياً أفضل .. فإن كل متدبر لما خلق الله سبحانه وتعالى من شجر فى مختلف بقاع الأرض لابد له من دوام تغيير الرأى فيما يتخيله من هذه الشجر .. فكل سياحة فى أنحاء الدنيا سواء وقعت بالرحلة أو تمت بالقراءة أو جاءت نتيجة الدراسة تضيف للإنسان دائماً الجديد على فكره .. والجديد فى تصوره ..

فمهما يكن تصور الإنسان فى الشجرة الطيبة ومهما يعتقد أنها شجرة يعرفها بالذات واختبرها وعاش طويلا فى جوار كريم لها .. تعطيه ماتجود به .. بل وقد يقذفها بالحجارة فلا تجيبه إلا بثمارها تدفعها إليه كما يحدث فى نخل البلح .. وقد يجرح بنيها وبناتها كما يحدث فى ثمار الجميز إذ يصيب الرجل قمة الثمرة بسلاح يفتحها فتنضج وتعطى الإنسان خلاصة جرحها .. من حلاوة وإثمار .. وفى بلاد أخرى قد يجد الإنسان المثيل لهذه الأصناف من الشجر .. ولكن قد يعدل كل هؤلاء من آرائهم ويغيرون من فكرهم لو شاهدوا أو سمعوا عن أشجار أطيب من ذلك كثيراً فى أماكن مختلفة من العالم .. ففى المناطق الاستوائية توجد أنواع عديدة من الأشجار التى لو تأملها الإنسان لأثارت انتباهه وشغلت باله .. ولعل أكثرها إثارة النارجيل وهى تشبه فى شكلها العام النخل وترتفع إلى حوالى تسعين قدماً . وتعتبر هذه الشجرة من أعجب ما خلق الله .. وهى آية حية تشير إلى رحمة الله بالإنسان وإلى جميل صنعه وحسن تقديره .. كما أنها تصلح لأن تكون مثالا للكلمة الطيبة فهى شجرة طيبة إذ أنها تفى بكل احتياجات الإنسان من غذاء وكساء ودواء وأوانى وأدوات ومواد لكافة الاستخدامات .. علاوة على وافر ظلها الذى تمنحه للعابر .. ومن أروع ما كتب فى وصف هذه الشجرة أن مسافراً كان يجوب أرضاً شديدة الحرارة وتحت شمس محرقة الأشعة فرأى شجرة معتدلة الأجذاع ذات أوراق حسنة المنظر وقد وفرت فى المكان ظلا رطباً

يعتبر منتهى أمل المسافر فى مثل هذه المناطق فى النهار.. فلما آوى المسافر إلى الظل حامداً الله شاكراً له أن هيأ له هذا الظل تحت هذه الشجرة الطيبة خرج إليه صاحب كوخ قريب ودعاه إلى بعض الراحة فى كوخه (وأتاه بشراب شهى فيه طعم حموضة أروى ظمأه وأنعشه وبعد أن استراح دعاه إلى الطعام فى صحون مختلفة من جفنة سوداء مصقولة لامعة وسقاه خمراً لذيذة لم يشرب مثلها قط ثم أتاه بحلاوة فاخرة ثم بغيرها فقال المسافر وقد دهش : من أين لك هذه كلها فى هذا القفر ؟ قال من شجرة النارجيل فالشراب الذى سقيتك إياه من جوزها قبل نضجه واللبن الذى استطبته من ذلك الجوز بعد النضج والغذاء الذى لذّ لك من أوراق تلك الشجرة وتلك الخمرة من عصارة زهرها ومن هذه العصارة كل ماعندى من السكر وكل هذه الصحون والجفان والآنية التى رأيتها على المائدة من قشر جوزها وهذا البيت الذى أسكنه منها فجدرانه من خشبها وسقفه من نسيج أوراقها ومظلتى من نسيج هذه الأوراق والثياب التى أرتديها من خيوط أليافها ومن هذه الألياف مناخلنا وحصرنا وقلوعنا وحبالنا والزيت الذى نوقده فى مصابيحنا عصير لب جوزها ولنا فيها مآرب أخرى . فدهش المسافر ولما هم بالانصراف سأله صاحب الكوخ أن يبلغ كتاباً كتبه له لصاحب له فى مدينة مجاورة فقال ومن أين لك الحبر والقرطاس ؟ قال من تلك الشجرة ، فالحبر من نشارة أغصانها والقرطاس من أوراقها فأخذ المسافر الكتاب وهو فى حيرة وعجب) .

هذه شجرة طيبة قد وفرت للإنسان كل حاجاته وحققت له كافة رغباته .. تعطيه كل مايريد وتجعله فى غنى عن طلب أى شيء فليس لما تمنحه من مزيد .. وقد يكون هناك من الشجر ما هو أفضل وأطيب فمازال الإنسان يجهل أكثر مما يعلم .. ومازال مالم يصل بعد إليه . أكثر مما وصل إليه ..

وأما الشجرة الخبيثة فكل إنسان يتخيل على قدر مايعرف .. وبقدر ما شاهد ودرس قد تكون الشجرة التى لا تثمر .. وإذا أثمرت فثمرها لايفيد .. أو تثمر مواداً سامة لاتفيد فى علاج أو قد تضر الأحياء وقد تكون شجرة جرداء لاظل لها .. ولاخير فيها ولكن قد يغير الإنسان فكره عن الشجرة الخبيثة التى يتخيلها إذا ما علم أن فى الأرجنتين تنمو شجرة ضخمة تلفت النظر بضخامتها الأمر الذى يشير إلى أنها لابد ذات فوائد جليلة وتعرف هذه الشجرة باسم شجرة الأومبو وهى من أمثلة الشجرة الخبيثة .. فهى عديمة النفع إذ لاظل لها إطلاقا فإن فى تكوين جذوعها ووضع فروعها ما يحول دون تكون ظل لها ولذلك لايلجأ إليها عابر الطريق.. وأما خشبها فبالرغم من ضخامتها الأمر الذى يشير إلى وفرة خشبها فإنه عبارة عن لب إسفنجى لايصلح لأى شيء إطلاقا فلا يستخدم فى البناء لأنه هش لايتحمل.. ولايستعمل كوقود لأنه لا يحترق .. وبالرغم من ذلك فإنه لا يقطع إلا بصعوبة حتى أن الآلات الحادة ترتد إلى صاحبها عندما يضرب بها أليافها الإسفنجية .. وأما ثمارها بل أوراقها فتحتوى على مادة سامة سريعة المفعول تصيب من

يتناولها فوراً من إنسان أو حيوان .. وهكذا تنمو الشجرة عديمة الفائدة تؤذى من تنبت فى أرضه فلا يستفيد منها بل قد تتسبب فى موته أو موت أطفاله أو حيواناته وإذا أراد أن يجتثها بعد أن تكون قد نبتت فقد تصيبه .. فما أخبثها من شجرة .. ولكن ألا يحتمل أن يكون هناك ما هو أخبث من هذه الشجرة ؟.. فى مكان ما .. وبشكل ما ؟..

وكذلك الحال بالنسبة للشجرة الطيبة .. ألا يحتمل أن يكون هناك ماهو أطيب من تلك الشجرة ؟..

وهكذا يظل الإنسان يغير من فكره ويعدل من رأيه كلما أضاف إلى علمه الجديد من المعرفة .. وبالرغم من ذلك سيظل لكل إنسان فكره الخاص ورأيه المنفرد فى الشجرة الطيبة التى ضرب الله بها المثل للكلمة الطيبة وفى الشجرة الخبيثة التى ضرب الله بها المثل للكلمة الخبيثة وإن تغير هذا الفكر وتعدل الرأى .. وماضرب الأمثال إلا لإثارة الفكر فى الناس .. وإن اختلفت أفكارهم باختلاف أفرادهم .. وصدق الله العظيم الذى يقول :

« وَتِلكَ الأمثَالُ نَضرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهم يَتَفَكَّرُونَ ».

« ٢١ سورة الحشر »



آيـــات فـى شـــجـــرة

عندما تمر بشجرة قد التف حولها الناس يضربون جذعها بعصيهم وهراواتهم ضربا مبرحا بحيث يترك أثره من خدوش وندوب عليها فاعلم أنك تمر بشجرة جميز.. تلك الشجرة التى تستجيب لرغبة الإنسان بالضرب والضرب بقسوة فيزيد إنتاجها وتكثر ثمارها كلما ازداد لها ضرباً .. وبالرغم من أن العلم لم يصل إلى سر ذلك ومبعثه إلا أنه أيد بالتجارب العلمية صحة مايقوم به الزراع إذ أن ترك الشجرة على حالها ينقص كثيراً من درجة إنتاجها بحيث أصبح من ضمن العمليات البستانية المقررة أنه عندما تبلغ الشجرة من العمر ماتثمر معه يعمل المزارعون حلقة حول الجذع بضربات من العصى الغليظة القوية وتعمل حلقة جديدة فى يناير من كل عام فوق موضع الحلقة التى قبلها وبتوالى السنين نجد الشجرة وقد اكتست بآثار الندب والخدوش وكأنها بصمات الضرب المبرح التى يدعو بها الإنسان الشجرة لمزيد من الإنتاج والإثمار فى كل عام .

وعندما تريد أن تتذوق حلاوة ثمارها فلاسبيل إلا شراء بعضها من البائع إذ لاتستطيع أن تتناولها من الشجرة ولايمكن أن تتساقط

على الأرض . فثمرة الجميز ثمرة نظيفة وطاهرة فهى بعيدة عن أيدى المارة ومحفوظة من السقوط على الأرض .. إذ لابد بمجرد ظهور الثمار على فروع الشجرة أن تلف الفروع بما عليها من الثمار بشباك تحفظها من أضرار الطيور .. وتمنع سقوطها على الأرض إذ تتلف فور سقوطها .. ولذلك تظل ثمار الجميز منذ بداية تكونها وحتى تمام نضجها تعيش فى شباك فوق شجرتها حتى يحين وقت جمعها .. وبالرغم من ذلك فهى أرخص الثمار مع أنها من أكثرها حلاوة ومن ألطفها مذاقاً .

وإذا مررت قبل شروق الشمس يوما فوجدت تحت شجرة الجميز من ستتعجب من حاله .. فهو لايطلب ثمراً يقيناً ولاينشد ظلاً فالشمس لم تشرق بعد . ولكن الحقيقة أنه يطلب ماهو خير من الثمر والظل .. إنه يستجدى شجرة الجميز الدواء ... وإنه تحتها يباشر العلاج ويرجو الشفاء .. فبمعالجة غصنها بأى آلة حادة أو استخراج عصارة الجميز بطريقة أو أخرى .. تخرج ماده لبنية لايعرف تركيبها الكيميائى تحديداً .. ومن ثم لايعرف المادة التى تشفى معظم الأمراض الجلدية تماماً .. ولكن الثابت بالتجربة والمؤكد بالبحث أن لهذه المادة اللبنية خواص عجيبة فى إشفاء بعض المستعصى من الأمراض الجلدية .

أما تكون ثمرة الجميز ونضجها فإن ما به من آيات باهرات أكثر

من أن تحصى وأجل من أن توصف .. ويضيف العلم كل يوم جديداً فى المعرفة عن عجائب نضج وتكون الجميز.. والعلاقة الوثيقة بينه وبين حشرة خاصة لو لم تدخله مانضجت الثمار وما أصبحت بما هى عليه من حلاوة ونضج وليونة يقول كتاب (أشجار الفاكهة للمرحوم الأستاذ أحمد حلمى) مانصه (ثمار الجميز تسكنها على الدوام حشرة السيكوفاجا وهى زنابير صغيرة. تتخذ مبايض الأزهار كخلايا تودع فيها بيضها وتربى فيها صغارها ويزداد حجم كل مبيض بعد وضع البيض فيه ليمهد للحشرة الاستقرار فى داخله .

والحشرات الصغيرة التى تترك الخلايا أولا كلها ذكور وهى عديمة الأجنحة وذات لون أسمر داكن وحال خروجها تلقح الإناث وهى لاتزال موجودة فى الخلايا التى فقست فيها وعند تمام التلقيح تترك الإناث الخلايا وتموت الذكور. وتشاهد الذكور عادة وهى ميتة ومكدسة داخل منطقة عين الثمرة ولون الإناث أسود لامع وهى ذات زوجين من الأجنحة وجهاز لوضع البيض طويل وهى أقصر من الذكور وبمجرد خروج الإناث من الخلايا تتخذ سبيلها إلى الخارج عن طريق عين الثمرة وبمجرد فرارها من الثمرة القديمة فإنها سرعان ماتطير لثمرة أخرى تكون ولاتزال فى طور التكوين المبكر ومتى استقرت عليها شقت لنفسها سبيلاً بين حراشيف العين المقفلة حتى تصل إلى الداخل وهذه العملية تسبب لها عادة فقدان الأجنحة وعندما تصل لداخل الثمرة تباشر وضع بيضة فى كل زهرة ثم تموت

بعد ذلك . وعدد الحشرات التى تدخل فى كل ثمرة يختلف بين ٢ ، ٣٢ حشرة ويكثر عددها فى زمن الخريف عن أى وقت آخر . وفى هذا الوقت لايقل عدد البيض بالثمرة الواحدة عن ١٠٠٠ بيضة وتزور الحشرات الثمار فى الصيف متى بلغ عمر الثمار ١٥ ـ ٢٠ يوما . وبمجرد وضع البيض تبدأ الثمار فى إفراز سائل مائى يملأ جوفها بنسبة ربع الفراغ تقريبا وقبل أن يحين وقت هجرة الحشرات الصغيرة من الخلايا فإن هذا السائل يمتص ثانية ويرجع جوف الثمرة إلى حالته الأولى الأصلية وتبلغ الفترة بين وضع البيض وخروج الحشرات الصغيرة نحو شهر فإن الوقت الذى تتكون فيه الزنابير يتفق مع الوقت الذى تتكون فيه الثمار وعلى ذلك فإنه عندما تبارح الإناث ثمار أى محصول تكون ثمار المحصول الذى يليه متأهبة لتقبلها . وإذا غابت الحشرات عن الثمار تكون غير قادرة على الاستمرار فى النمو أكثر من حالتها الأولية وقد شوهد ذلك بتجربة اتبع فيها وضع أكياس من الموسلين حول ثمار صغيرة لمنع وصول حشرة السيكوفاجا إليها فكانت النتيجة عدم حصول إفراز السائل العادى فى أى ثمرة بل حدث من ناحية أخرى بعد مضى أيام قلائل أن تقلصت الثمار المذكورة وسقطت . ومن هذا يتضح أن وجود الزنابير شرط أساسى لتكوين الجميز) .

وهكذا تتكون ثمرة الجميز .. ولكن حتى يكتمل نموها ويتم نضجها ويحلو مذاقها وتظهر رائحتها .. لابد من أن يتخذ الإنسان

إجراءات تشير إلى أنها امتداد لقسوته على شجرة الجميز .. فحتى تثمر ضربها .. وحتى تنضج هذه الثمار لابد أن تتحمل قسوة الإنسان وضراوته .. ولكن ما أكبر الفارق بين ضرب الإنسان للشجرة بالعصى والهراوات وضربه للثمرة بالنصل الحاد أو السلاح الصلب .. إذ أنه متى بلغت الثمار من العمر أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع كان لابد من تختينها بآلة عبارة عن حلقة حديد مبططة بيد خشب .. أو بسكين عادية .. وتثقب قمة الثمرة بها ثقبا مستديراً كأنها ضربة فاصلة لرأسها .. ثم تنضج الثمار بعدها تماماً وتصبح صالحة للجمع ثم الأكل بعد أربعة أو خمسة أيام من تختينها .. وهذه العملية أساسية وضرورية للثمرة إذ أن الثمار التى لاتختن تستمر فى نموها ويرى جوفها مغطى بخلايا الأزهار وقد امتلأت بالحشرات الصغيرة .. ويسمى هذا الجميز باط وثماره لاتكون مقبولة للأكل . ويزعم البعض أن تختين الثمار إنما هو لخروج الزنابير منها ولكن ثبت علميا أن ذلك الزعم غير صحيح إذ تقرر الدراسات العلمية أنه متى تفتحت الثمرة الصغيرة بالتختين فإن مايتخللها من الهواء يجفف داخلها وتصبح الأزهار داخل الثمرة عبارة عن كتلة متماسكة يتعذر على الحشرات أن تضع بيضها فيها .. كما أن تيار الهواء الداخل يوقف نمو البيض الذى تكون الحشرات قد وضعته من قبل .. كما أنه يجفف داخل الثمرة حيث يتبخر السائل داخلها فيوقف نمو الثمرة وتتجه كل العمليات الفسيولوجية إلى إنضاج الثمرة وتكوين الطعم والرائحة المميزة للجميز .

وتعتبر شجرة الجميز مثلا للوفاء ورائدة فى الكرم .. فبالرغم من سوء معاملة الإنسان لها فهى تمنحه كل ماتستطيع وكل مايريد بإسراف فى العطاء وجود فى البذل وكثرة فى الإثمار .. فعلاوة على الكميات الكبيرة من ثمار الجميز التى توجد على الأشجار فى جميع فصول السنة والتى تزيد زيادة ملحوظة فى مواعيد خمسة تنتج خمسة محاصيل .. وعلى عصارتها التى تستخدم فى علاج بعض الأمراض الجلدية .. فإن خشب شجرة الجميز له خاصية فريدة وميزة عجيبة إذ له قوة ومناعة ضد الانحلال عند غمسه فى الماء .. ولذلك فإنه الخشب الوحيد الذى يستخدم فى تشييد الآبار وما يستعمل فى الماء ..

أما الظل الذى توهبه هذه الشجرة للإنسان فيعرفه كل ملتمس له إذ أنها شجرة كبيرة دائمة الخضرة متناسقة الشكل وكلما تقدمت فى العمر أخذت فروعها فى الانتشار أفقيا لمسافة تصل إلى عشرين متراً مما يوفر ظلا وارفا فى مساحات كبيرة .

ولايقتصر بذلك فضل شجرة الجميز على المستظل بظلها أو البائع لثمرها أو المتداوى بعصيرها أو العامل يصنع بخشبها ولا على الحشرات تضع بيضها فى رعايتها ولكن هناك من تعتبر هذه الشجرة الطريق إلى رزق الله الذى يسوقه إليه وكتبه عليه .. هذا الذى يتكسب من ضرب الشجر وجرح الثمر ويسمى الجاميزى ولا يقوم به إلا من تمرس عليه وانقطع له فيرزق به .

وهكذا تتزاحم الشاهدات وتتوالى الآيات من شجرة واحدة وكلها تشير إلى حقيقة واحدة .. الكون الغريب تحكمه قوى جبارة رحيمة .. قديرة عليمة .. هى دليل وجود الله سبحانه وتعالى وعظمته وصورة من جميل صنعه ورائع تقديره .

من عجائب ليالى الشتاء

فى ليالى الشتاء يحاول الإنسان التماس كل وسائل الدفء .. فنجده يحكم إغلاق نوافذ حجرته .. وأبواب منزله بحيث لايجعل للجو الخارجى أى طريق يمكن معه تسرب الهواء إليه .. ثم يستعين بأكثر من غطاء يتدثر به .. من برد ليل الشتاء الطويل .. وكسراً لحدة طول الليل وفى محاولات لقضاء بعض ساعاته البطيئة يلجأ الإنسان غالباً إلى جهاز الراديو يتابع فيه مايذاع من محطات مختلفة تملأ نطاق إمكانية استقبال الجهاز ..

وبانتشار أجهزة الراديو التى تدار دون كهرباء أقبل الناس عليها بشغف وإسراف حتى أصبح هذا الجهاز اليدوى الصغير لدى الغالبية العظمى منهم لإمكان استعماله أينما كان الإنسان ودون حاجة إلى توصيلات كهربية أو مستقبلات خارجية .. ولذلك فإن مثل هذا الجهاز أصبح أكثر أجهزة الراديو استعمالا .. لاسيما فى الليالى .. الطويلة .. من الشتاء .. حيث يضعه الإنسان فى فراشه .. يستمع إليه دون إزعاج أو جهد يبذله ليبدأ إرساله أو ينهى عمله ..

ولم يحاول الإنسان هنا أن يفكر فى أمر هذه العملية تفكيراً عميقا واقعياً .. ومايحيط بها .. ولم يحاول أن يتدبر المعجزات التى تشير إليه .. والرهبة التى تستولى عليه فيما لو أمعن التفكر فى بعض الحقائق الكامنة فى هذه المحاولة البسيطة .. من محاولات قطع الوقت فى ليل طويل بارد الجو..

فهذا الجهاز الصغير نضعه تحت الأغطية معنا داخل حجرة مغلقة تمام الإغلاق .. محكمة تمام الإحكام .. ولايتصل بخارج البناء إطلاقاً .. بأى اتصال .. ظاهر .. أو خفى .. وبالرغم من ذلك نجده يلتقط الإذاعات ويرسلها إلينا مرة أخرى .. وبديهى أن نظرية الاستقبال والإرسال كتب عنها العلم كثيراً وأمكن تحليلها والوقوف على أسرارها .. فهى عملية تطابق مايقوم به الإنسان عن طريق الفم والأذن . فهذا يتكلم فيتماوج الهواء إلى أن تصل ذبذبات الصوت إلى أذن السامع فيلتقطها .. على ذلك فإذاعة تذيعها محطة إرسال معينة يتماوج الهواء بذبذبات خاصة بها ما أن تصل إلى جهاز الاستقبال حتى يستقبلها فإذا تطابق ذبذبتها استعداده لها فإنه يلتقطها ويعيدها كما هى .. وعلى ذلك فإن جهاز الاستقبال الخارجى والذى يوضع دائماً فى أعلى البناء إنما ليستقبل الذبذبات من الجو فتسرى داخله حيث يوصلها إلى جهاز الراديو .. ولكن هذا الجهاز الصغير .. ليس لديه أجهزة استقبال خارجية .. فمن أين إذاً يحصل على هذه الإذاعات .. لاشك أو جدل فى أنه يحصل عليها من داخل الغرفة ..

بل من تحت الغطاء حيث هو.. فكيف تدخل هذه الإذاعات جميعها فى الغرفة وتحت الغطاء.. مهما يكن سمك هذا الغطاء.. بل ومهما يتعدد الغطاء؟.. بل وأدهش من ذلك أنها تدخل كل غرف الدنيا وتحت كل غطاء ومهما يكن جدار الغرفة صلبا أو سميكاً بل ومهما تكن هذه الغرفة فى غواصة.. تحت الماء.. أو فى طائرة.. فوق السحاب.. تدخل هذه الإذاعات كلها فى وقت واحد.. فأسمعها أنا.. وتسمعها أنت.. ويسمعها أخ لنا فى الهند.. وآخر فى البحر.. وغيره فى أى مكان يكون.. كيف إذاً تعم هذه الإذاعات الدنيا كلها؟..

وإثارة أكثر للدهشة فإن كل الناس فى كل مكان يستمعون إلى نفس الإذاعة فى نفس اللحظة.. فهى لاتتابع وإنما تنتشر فى لحظة واحدة.. هى نفس لحظة الانتشار.. بل أعجب من ذلك أنها نفس لحظة الإرسال.. فالحرف يخرج من فم المذيع لأسمعه أنا وتسمعه أنت ويسمعه الناس جميعا فى لحظة خروجه.. فكيف لايوجد فارق زمنى.. بين المكان القريب.. والآخر البعيد.. بين المستمع الدانى.. وبين المستقبل القاصى.. جميع أهل الأرض على اختلاف أماكنهم يستمعون لنفس اللفظ فى نفس اللحظة.. وفى لحظة النطق بها..

وإذا تفكر الإنسان أنه وهو يعبث بأزرار الجهاز تتدافع الإذاعات المختلفة بوفرة بالغة وكثرة هائلة.. عشرات المحطات بكافة اللغات..

ومختلف الإذاعات .. تحمل إلينا تلاوة مباركة من القرآن الكريم .. وتراتيل وصلوات .. وأدعيات .. وعبادات .. غناء وموسيقى .. بألحان عديدة .. ولغات كثيرة .. أحاديث جادة .. وأسمار ضاحكة .. قصصاً وروايات .. وأنباء وتعليقات .. مدحا وهجاء .. تأييداً ونقداً .. وغير ذلك من عشرات المواد .. لو تفكر الإنسان فيما وراء هذه العملية .. لاندهش .. وأى دهشة .. وتعجب أى عجب .. ولأخذ من ذلك عظة وعبرة .. بل لوجد معجزة .. ورحمة .. إن الحقيقة التى تكمن وراء ذلك أكبر مما يستوعبها العقل ولايكاد يتصورها التخيل .. إن كل هذه الإذاعات وجميع هذه المواد .. استمعنا إليها أو لم نستمع .. كان عندنا جهاز الراديو أو لم يكن .. شئنا أو لم نشأ .. كلها .. داخل غرفتك .. وتحت غطائك .. بل هى قريبة من أذنك .. لا .. فى الحقيقة أنها فى الأذن فعلا .. وهى تتوالى بصفة دائمة عليك .. تقتحم خلوتك .. فى كل لحظة .. وتصل إليك فى منامك ويقظتك وباستمرار أينما كنت .. وكيفما تعمل .. فإن كل إذاعات العالم .. وما يماثلها .. بالتالى .. بل وكذلك فإن كل أحاديث المتحدثين .. وأصوات الناس أجمعين .. مهللين أو باكين .. سامرين .. أو هامسين .. بل كل سر يخرج من بين شفتين .. وكل أصوات الحيوانات والطيور وهبوب الرياح وسقوط المطر .. وقصف الرعد وهدير الموج .. جميعها يقينا .. على اختلاف لغاتها .. وتفاوت درجاتها .. حولك ومعك .. فمن يمنعها من

الوصول إلى سمعك فعلا .. وكيف الحال لو أن خللا وقع بالأذن ـ ولم يحدث إطلاقا من قبل ولن يحدث أبداً على مدى الأجيال الطويلة التى عاشها الإنسان ـ فأدى هذا الخلل الطفيف إلى أن يسمع الإنسان كل الأصوات التى توجد فى غرفته .. وتحت غطائه بل وملء الجو الذى يعيش فيه وبالقرب من أذنه بل وداخل أذنه يقينا .. هذه الأصوات التى يؤكد وجودها أى عبث تافه .. أو حركة لاتكاد ترى أو تحس بزرار جهاز راديو صغير لا يزيد حجمه على قبضة يد أو أقل .. كم صوت يا ترى يسمعه الإنسان فى اللحظة الواحدة ؟.. إذا فرض أن نصف سكان العالم فى نوم بينما النصف فى يقظة وذلك فى كل وقت .. وأن نصف من هم فى يقظة صامتون لاينطقون لسبب أو آخر .. وأن النصف الباقى منهم يتحدثون .. فإن معنى ذلك على أقل فرض ممكن .. وبأقل احتمال مستطاع أن فى أذن كل إنسان أصوات ثمانمائة مليون نسمة فى كل لحظة من لحظات عمره .. من هذه الأصوات الغناء والبكاء .. والصياح والهمس .. ولابد أن نضيف إلى هذه الأصوات .. أصوات عدة ملايين الملايين التى لايمكن إطلاقا أن تقع تحت حصر.. من الطيور والحيوانات .. التى تفيض بها الأرض.. فى كل بقاعها.. وأصوات مئات الملايين من أبواق السيارات.. ورنين الأجراس.. ضجيج وأى ضجيج.. لايمكن للعقل أن يتخيله.. ولايستطيع الإنسان أن يتصوره.. كل هذا.. فعلا يدخل الأذن.. ولكن لاتتأثر به.. وإنما تتأثر إلى حد معين.. وبقدر محدود..

ولايقتصر الإعجاز على كمية الأصوات .. وقدرها .. ولا على كيف تقتحم جدران الغرفة ثم تملأ جو الإنسان أينما كان .. بعيداً عن الهواء .. أو تحت الماء .. ولا على السرعة التى تصل بها الأصوات إلى كل مكان .. بحيث يمكن أن نقول إنها تنتقل بلا زمن .. فهذا يحدثنا من سفينة الفضاء خارج الأرض .. فيسمعه كل الناس فى كافة أنحاء الأرض فى نفس لحظة حديثة .. وفى التو .. وإنما الأمر يحمل معنى آخر من معانى الإعجاز ويثير جانباً جديداً من الدهشة .. إذا كان كل حديث .. بصوت أو مهموس .. إنما يصل إلى كل الناس يقيناً .. مهما تبعد المسافة الأرضية .. بين المتحدث أو الهامس .. وبين الناس أجمعين .. وإنما لاتحصل الأذن من هذه الأصوات إلا بقدر لايكاد يذكر إذا قيس بباقى الحديث .. وبنظام معين .. وترتيب مقصود .. فكيف الحال .. لو شاء الله .. فاستمع الناس إلى كل حديث وقع .. وكيف يكون حال الإنسان وقد تحدث عن غيره .. بحديث يكذب فيه .. أو ينال من صاحبه .. معتمداً على سرية الحديث .. وعدم إمكان وصوله إلى صاحبه .. أو تكذيب ناقله إذا نقله .. مايكون جوابه .. وصوته يفضحه .. ومن تحدث عنه يسمعه ؟.. أليس معظم أحاديث الناس فى سمرهم .. أو لقائهم .. يحمل دائماً .. الحديث عن الغير .. نقداً .. وذماً .. وتعريضاً وتجريحا .. فهل بعد أن عرف الإنسان بالتجربة .. أن كل صوت يصدر إنما ينتشر فى العالم ويملأ هذا الكون الأرضى .. على قدر ما نعلم .. ويصل إلى كل أذن فى

الدنيا.. وعلى الأخص إذن من نتحدث عنه.. بغيبة.. أو غش.. أو أذى . وأن هذه الأصوات باقية.. لاتفنى.. ألا نعيد النظر مرة أخرى فيما نتحدث به.. وألا نصحح من أسلوب حديثنا.. ونغير هدفنا منه..

فمن إذاً يمنع الإنسان من أن يستمع فى كل لحظة من لحظات حياته .. بضجيج البشر.. وعجيج الكائنات من غير البشر؟..

ومن يمنع وصول حديث الناس عن الإنسان ؟..

ومن يسمح ببعض الحديث يسمعه الإنسان .. ويمنع الباقى فلا يصل إلى سمعه ..

إذا تدبر الإنسان وتفكر .. وهو يعبث بأزرار جهاز الراديو الصغير يضعه تحت أغطيته داخل غرفة مغلقة فى ليلة طويلة .. لابد أن يصل إلى حقائق واضحة .. ويلمس شواهد بينة ..

ألا تشير كل هذه إلى رحمة الله بالإنسان ؟..

وأليس فيها الدليل على وجود الله وعظمته .. وقدرته ؟..

وألا يؤكد ذلك أن الإنسان لم يعرف بعد أسرار الكون .. الكون الغامض .. العجيب ! !..

صدق الله العظيم الذى يقول :

« وَيُرِيكُم آيَاتِهِ فأىَّ آيَاتِ اللهِ تُنكرونَ ».

« ٨١ سورة غافر »

جميل الصنع وحسن التدبير

إذا ماتفكر الإنسان فى نفسه وتدبر حاله ودرس أجهزته وأعضاء جسمه لوجد عجباً وأى عجب .. أجهزة عديدة تختلف فى أشكالها وتتباين فى صفاتها وتتغاير فى أعمالها وتتفاوت فى أهميتها ولكنها كلها تعمل فى تناسق عجيب وترتيب غريب وتتابع رهيب .. إذا فقد الإنسان بعضها تداعى باقى الجهاز إما بإصلاح ماتبقى أو تحور بعضه أو انهياره تماماً .. ولا يشعر الإنسان وهو ضارب فى الحياة بكل طاقاته وفكره عن قدر ما وهبه الله من أجهزة وأعضاء وحواس .. ولو تفكر قليلا لعرف فضل الله عليه كثيراً ولآمن بالنعم التى منحها الله له عديداً .. ترى لو أن النوع الإنسانى لم تخلق له أجهزة العين فلا يرى .. هل كانت تقوم الحياة .. وهل يزرع الزارع وكيف ؟ وهل يعمل الصانع ؟ وهل ينتقل الإنسان ؟ وهل يتلاقى الناس ؟. وهل يتعارف الأهل ؟. بل هل تقوم بين الناس علاقات .. صداقة أو جوار أو زواج ؟.. وهل لو فقد النوع الإنسانى السمع فلايسمع جاره ولايتفاهم مع غيره ولاينعم بخرير المياه أو ترنيمة الطير أو وقع الموسيقى .. وهل لو فقد النطق فلا يستطيع أن يترجم عن عواطفه أو

يشرح لغيره مايريد .. وهل لو فقد الذوق فلا يستسيغ الحلو ولايلفظ المر.. ولاينعم بلذة الطعم.. وهكذا فى باقى الحواس ومختلف الأعضاء.. ترى هل كانت توجد حياة ؟. وياترى كيف يكون شكلها أو لونها أو طعمها ..؟ إن لكل إنسان فى ذلك رأيه .. ولكل تصوره وتخيله.. ولكن الذى لاشك فيه ولاجدال عليه أنها تكون حياة خالية من أى طعم من طعوم السعادة .. وبعيدة عن أى لون من ألوان البهجة ..

وإذا تعمق الإنسان فى الفكر فى نفسه وأجهزته وأعضاء جسمه لايمكنه أن يفاضل بينها فهى جميعاً تعمل فى محيطها لتقدم الحياة الجميلة الميسرة الطيبة التى تسعد الإنسان .. ومهما يظهر للإنسان بنظرة عابرة أن هناك مايقل أهمية عما يراه هاما فالحقيقة عكس ذلك .. فإن العلم يكتشف دائما أن كل ما فى جسم الإنسان مهما يكن تافها وقليلا فى نظر الإنسان العادى فإنه خطير وهام ومؤثر تأثيراً كبيرا ومباشرا فى حياته . فمثلا عرف العلم وأكدت الدراسات مدى أهمية القنوات الهلالية داخل الأذن الداخلية والمستقبلات العصبية والخلايا الصغيرة التى تنتهى بزوائد شعرية .. كلها أجهزة يكمل عمل الواحدة منها عمل الأخرى حتى تعمل الأذن عملها .. ولكن وجد بهذه القنوات وعددها ثلاث .. سائل يتحرك يملأ هذه القنوات جزئيا .. وقد وقف العلم عند هذا السائل يجهل عمله .. فأضافه إلى أجزاء أخرى فى الجسم كان يعتقد خطأ أنها أجزاء زائدة أو أنها آثار لتطورات أو

مؤشرات على تحورات تمت فى هذه الأجهزة التى تحتوى هذه الأجزاء ..

فلقد أثبتت الدراسات أهمية هذا السائل وخطورته على الإنسان بالرغم من أنه لايتجاوز بعض النقط فى الحجم .. وقد تحصنت فى مكان يبعد عن أى مؤثر خارجى وبمعزل عن أى اتصال داخلى .. فهى داخل القنوات الهلالية حيث لاتتصل بغيرها ولاتعمل مع سواها .. فكما تدل نقطة الماء فى الميزان المائى على استقامة البناء بحيث أن أى ميل لهذه النقطة فى الميزان تدل على عدم سلامة البناء .. فإن أى اهتزاز لهذا السائل فى القنوات يدل على عدم استقامة الجسم .. فيشعر الإنسان بعدم توازنه .. وعندئذ لابد له من تصحيح وضعه واتخاذ مايلزم لإعادة سلامة مايجب أن يكون عليه الجسم .. وكل حركة نأتيها برءوسنا يهتز هذا السائل داخل القنوات حيث أنه لايملؤها تماما .. ولأن الحركة دائما تكون فى كل الاتجاهات فلايحدث بذلك الشعور بعدم الاتزان إلا إذا دامت الحركة واستمرت فى جهة واحدة .. وذلك يحدث إذا درنا حول أنفسنا دورانا سريعا مستمرا حيث يدور السائل ويستمر حتى بعد أن نتوقف عن الدوران لمدة نشعر فيها بالدوخة وعدم الاتزان .. والأطفال فى لعبهم يتخذون من هذا السائل وسيلة للوقوع والدوران .. فكثيراً مايدور الطفل حول نفسه لفترة ثم يقف فجأة ليترنح ويسقط على الأرض ويتخذ ذلك من قبيل اللهو والتسلية .. وهكذا يثبت العلم وتؤكد الدراسات أن

كل جزء فى الجسم مهما يكن قدره ضئيلا فى حجمه أو عمله أو يبدو كذلك للإنسان .. فإنه يعمل فى تناسق وترابط واتفاق مع باقى أجزاء الجسم بحيث لو غاب عمله لفسد العمل كله ولما قامت حياة الإنسان كما يجب أن تكون .. وهذا لاشك من جميل صنع الله وحسن تدبيره جل شأنه ..

ولو تفكر الإنسان فى ميدان أوسع من ميدانه نفسه .. وهو ميدان عمل النوع الإنسانى .. يجد عجباً كذلك وأى عجب .. تختلف أعمال الناس .. وتتفاوت فى قدرها .. وتتباين فى أشكالها ولكنها كلها تترابط وتتناسق لتؤدى وظيفة الحياة للنوع الإنسانى .. فهذا مالك الأرض يجد ويجتهد باحثاً عن مستأجر أمين يوكل إليه أمر أرضه .. وهذا المستأجر يسعى ليعثر على مزارع قدير.. وهذا المزارع يكد ويعرق فى الأرض متعاوناً مع المستأجر والمالك حتى تخرج الأرض ثمارها .. وبديهى أنه حتى يخرج هذا الثمر قد استعان المزارع بعامل السقى وخفير المياه .. واستأجر من يحرث معه الأرض ويعاونه فى العمل .. ثم يسعى التاجر لشراء المحصول مع من يزامله فى ذلك .. وسلسلة كبيرة متلاحقة من أعمال متعددة تهدف كلها لتوفير حاجة الإنسان من ثمر الأرض .. وإذا انتقلنا إلى المصانع .. نجد الحمال الذى لابد منه لتنتقل مواد الإنتاج إلى حيث تصنع .. ثم المواد المصنعة إلى حيث تعد للاستهلاك .. وكذلك مختلف درجات العمال .. وشتى مستويات العمالة .. إلى أن نصل إلى أكبر مشرف فى المصنع ..

وكل هذه الحلقات المتتابعة إنما لتؤدى عملا متناسقاً .. ومترابطاً لإنتاج حاجة الناس .. وهكذا فى كل ميدان من ميادين العمل .. نجد التفاوت والتباين والاختلاف .. ولكن لابد من وجود التناسق والترابط والتتابع حيث يتم الإنتاج وتتحقق حاجات البشرية .. وهكذا مهما يظهر العمل تافهاً فلابد من وجوده .. ولايمكن أن تقوم الحياة دونه .. فالعامل يقف أمام وهج الأفران أيا كانت هذه الأفران صناعية أو إنتاجية .. لصهر الحديد .. أو إعداد الخبز .. فى وهج الصيف أو لفح الشتاء .. فكيف الحال لو لم نجد هذا العامل ؟.. هل يذهب كل فرد بحاجته من العجين ليخبزه أمام الفرن .. أم يخرج مدير المصنع إلى فرن صهر الحديد ليصهر .. مايحتاجه ؟.. أو يوزع على كل العاملين أوقات الوقوف أمام الأفران ؟.. وهل يجيد كل الناس هذا العمل ؟.. وهذا عامل المجارى .. يمر عليها صيفاً وشتاء .. صباحاً وظهراً ومساء وليلا .. فيخلع رداءه وينزل إليها يعالجها بفنه .. ويعيد إليها أسباب عملها .. ثم يخرج .. ليعود إلى غيرها .. لو لم نجد هذا العامل .. كيف كنا نتصرف ؟.. من يعالج مثل هذه الأمور ؟.. وهكذا كافة أصناف العمل .. أينما وجهنا النظر .. أو أدرنا الفكر .. ولايمكن بعد هذا الفكر أن يتساءل بعض ذوى الآفاق الضيقة .. لماذا لم يخلق الله الناس جميعاً أغنياء ؟..

ولماذا خلق الله هذا ليكون كبيراً وهذا ليكون صغيرا .. إن الحكمة تقتضى أن يتفاوت الناس فى أعمالهم وأن تتدرج قدراتهم ولكن لكل

عمله الذى بدونه لايقوم العمل كله .. ومهما يكن العمل تافهاً وصغيرا فى نظر البعض فإنه يترتب عليه كل عمل خطير وكبير .. وهكذا يتساوى مالك الأرض والمستأجر والمزارع والتاجر والعامل فى أن لكل منهم دوره الهام فى الحياة لتقوم الحياة .. وإذا فقدنا حلقة من هذه السلسلة انفرط عقد الحياة .. وما قامت الحياة الميسرة السهلة التى اعتادها الناس .. وهذا من جميل صنع الله وحسن تدبيره جل شأنه .

وإذا تفكر الإنسان فى حال الناس حيث يعملون .. يجد عجباً وأى عجب .. فهذا مالك الأرض .. يمر عليها فيسأله عابر السبيل لمن الأرض .. فيقول إنها ملكى .. وأرضى .. ولابد أن من بضعة سنين قد مر عابر سبيل آخر فسأل من كان يمر على نفس الأرض ولابد كان غير هذا المالك .. نفس السؤال .. وكان نفس الرد .. ومن عشرات السنين تم ذلك السؤال .. وكانت نفس الإجابة .. ومن مئات السنين أيضاً .. فكم مالك تعاقب على نفس الأرض واعتقد أنها ملكه .. وأنها أرضه .. وفى الحقيقة .. الحقيقة القاسية .. التى لاتقبل الشك أو الجدل .. أنها ليست ملكه .. وليست أرضه .. إنها ملك الله .. وأرض الله .. وكل من تعاقب عليها .. وادعى أنها له وأنها ملكه .. إنما ليقوم بشأنها .. ويحسن إدارتها .. ويشرف عليها .. وأنه فى النهاية .. تساوى مع المستأجر والمزارع .. والتاجر والعامل والصانع فى النهاية الحتمية .. حفرة من الأرض تضمهم جميعاً .. ليصبحوا بعد

حين .. حفنة من تراب أصيل .. لايفترق بعضه عن البعض إطلاقا .. وبالرغم من ذلك .. ومن أن هذه الحقيقة المؤكدة يمارسها كل إنسان ويراها فى غيره .. ولكنه لايحاول إطلاقا .. أن يصل إليها فى نفسه .. فيظل يمر على الأرض ويجيب من يسأله .. إنها ملكى .. إنها أرضى .. وكذلك فى البناء .. والتجارة والصناعة وماغير ذلك ..

ولايقتصر ذلك على الأرض أو البناء .. ولكن يوجد ذلك أيضاً فى كل عمل .. أيا كان قدر هذا العمل إذ يعتقد كل إنسان أنه يجيد مايعمل إلى درجة أن سواه لايمكن أن يقوم به .. وأنه لو تخلى عن عمله ماوجدوا غيره .. وأن العمل قد ارتبط به رباطا لايفك وثاقه .. ولاتنفصم عراه .. وأن كل جزء فى الآلة وكأنه يدور له .. وبه .. ولكنه لايفكر أنه جاء إلى هذا العمل لأن من سبقه إليه قد انتهى وصار إلى تراب .. وأنه لابد حتما .. تارك هذا العمل .. إلى من يعد حالياً لأن يتولاه .. فلا مناص أنه يسير قدما وسريعا إلى النهاية الحتمية .. إلى التراب ..

فعلى كل إنسان يعتقد أن ماعنده هو ملكه أن يتفكر قليلا . لمن كان قبله .. ولمن سيصير بعده .. فيرى أنه لاملك عنده .. وأن كل مايملكه هو لله عنده .. وعلى كل مشرف يجلس على مكتب أو يعمل خلف آلة أن يعلم أن الناس تتعامل مع هذا المكتب وهذه الآلة .. فهما أدوم منه .. وأكثر استقرارا وأنه لو دام المكتب لغيره ماوصل

إليه .. ولو استقرت الآلة لسواه مااحتاج العمل فيها إليه .. وأنه من ثم يعد المكتب خاليا لغيره .. ويجهز الآلة لمن يعمل عليها بعده ..

هكذا اقتضت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يصبح يوما .. الحاضر ماضياً والمستقبل حاضرا .. وأن يتسلم الحاضر من الماضي .. دوما .. وإلى الأبد .. وهذا من جميل صنع الله سبحانه وتعالى وحسن تدبيره .



الأبعاد الحقيقية للإنسان

يهدف النوع الإنسانى أساسا إلى زيادة قدرة الفرد وتنمية طاقاته بحيث تزداد الأبعاد التى يصل إليها مجال عمله .. وتتسع الآفاق التى يتحرك فيها بجسمه أو فكره .. وما العلوم المختلفة التى بدأ بها الإنسان حياته وتطورت وتنوعت وتعددت وستسمر مادامت هذه الحياة قائمة إلا الوسيلة التى يحاول بها الإنسان أن يضيف إلى أبعاده جديدا .. فلا هدف للعلوم إلا تيسير الحياة للإنسان وإضافة معارف جديدة إليه لعله يستخدمها فيما يوفر له سعادة أوفر وراحة أعمق .

ولا جدال فى أن الإنسان يتركب من جزأين وإن كانا ممتزجين إلا أكلا منهما يخالف الآخر ويغايره .. فلكل من الجسد أبعاده التى يصل إليها فلا يتجاوزها .. وللروح أبعادها كذلك التى لا تنطلق إلى أبعد منها طالما تسكن فى جسد إنسان حى .. وأبعاد الروح يقرر العلماء أنها من الأمور التى لايمكن علاجها .. إذ أنها من أسرار ماوراء الطبيعة وأن كل عمل الروح إنما تقوم به وفق الحالة التى يكون عليها صاحبها .. وأن انطلاقها دون قيد صاحبها عليها إنما يتم فى

الأحلام إذ فيها تقوم الروح بسياحات طويلة لايحدها إلا الخيط الواهى الرفيع الذى يفصل بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى فلا تستطيع الروح أن تتجاوزه طالما هى فى الحياة الدنيا .. وأما أبعاد الجسم فهى التى كانت ومازالت وستظل موضع اجتهاد الدارسين وهدف أبحاث العلماء وميدان عمل المجتهدين .

فعلوم الصحة تهدف إلى الحفاظ على صحة الإنسان .. فالطب الوقائى بكل أفرعه .. والطب العلاجى بكل صوره .. إنما محاولات لوقاية الجسم من المرض وعلاجه فى أسرع وقت وبأتم شكل .. وعلوم الزراعة ومايتصل بها من تغذية وإنتاج.. إنما تهدف إلى توفير غذاء الجسد بالكميات المطلوبة وعلى الحالات المرغوبة وبالصورة الأفضل من ناحية استفادة الجسم منها إلى أبعد مدى ممكن وبأقل جهد يستطاع .. وكذلك نجد فى كافة العلوم الأخرى الطبيعية والكيمائية حتى علوم الذرة وأبحاث الفضاء .. إنما تبحث كلها فى الوسائل التى يمكن بها أن يقوم الإنسان بعمله فى حياته بأقل جهد وإلى أبعد حد وقد توافرت له الراحة الجسدية والسعادة النفسية .. فكأن كل هذه العلوم إنما هى قد وجدت لتحافظ على جسد الإنسان حتى يقوم بعمله فى حدود أبعاده التى عرفها .

وأما العلوم العقلية والمعارف الذهنية فإنها تهدف إلى زيادة مجال حركة الإنسان وتوسيع البعد الذى يصل إليه الجسم ما أمكن ..

فالإنسان كلما تقدمت معارفه وتوقد ذهنه ونشط عقله أمكنه ممارسة شئون حياته بالدقة والسرعة مع بذل أقل جهد والوصول إلى الاستفادة الكاملة من إمكانية الجسم وطاقة العقل وإلى أبعد مدى . فالإنسان كان إذا رغب فى الانتقال من حيث هو إلى بلد قريب أعد الزاد وبدأ الاستعداد وغامر بحيث عندما يصل إلى بغيته ثم يعود إلى قريته مرة أخرى استقبل الوفود لتهنئته على ما كان منه .. ثم استخدم الإنسان العلم واستغل المعرفة فاستبدل الدابة بالسيارة والقطار.. ثم طور منها بحيث أصبحت الرحلة بالسيارة أو القطار متعة ورفاهية وسرعة وأمنًا ولم يلبث حتى ركب الطائرة التى تطوى الأرض بلا حساب من زمن وفى كل يوم يضيف جديدًا عليها بحيث أصبحت سرعتها وميزاتها مما لم يكن يخطر على بال متحدث برواية أو قاص لخرافة ... وكل ذلك إنما يهدف إلى أن يحسن الإنسان استغلال وقته كاملا والاستفادة من عمره تامًا بالسيطرة الشاملة لأبعاده ومحاولة الوصول بذلك إلى أقصى بعد يستطيعه الجسد والعقل .

وكذلك الفنون وماشاكلها حتى القصة يرويها الأديب فيستمع إليها الإنسان ، واللحن الموسيقى يعزفه الفنان، والصورة الجميلة يرسمها الإنسان الماهر... كل ذلك إنما يحمل معه للإنسان المستمع أو الرائى لذة تخامر عقله وتحمل تخيلاته وانطباعاته إلى مجال أبعد إلى مستوى أعمق .. بل إن الإنسان ليقرأ عن النجوم والكواكب .. أعدادها اللانهائية .. وأحجامها الرهيبة ... والنظام المحكم البديع الذى يحكم

هذا الكون بأبعاده التى تترامى وتتسع وتمتد عبر الأفق إلى أن تصل إلى نهاياته حتمية وأكيدة .. ولكن مجرد تفكير الإنسان أين توجد هذه النهايات لأمر يضيف إلى معلومات الإنسان جديداً فى عظمة هذا الكون الذى يشير إلى بعض آثار خالقه ويدل على بعض صفات مبدعه .. فكأن مجرد القراءة عن هذا الكون إنما يضيف إلى البعد الفكرى للإنسان عددًا ويزيد من معرفته بربه أمدا .. وكم تساعد الموسيقى على اتساع رقعة الخيال .. وكم يحمل المنظر الطبيعى الإنسان إلى آفاق أبعد مما هو فيها فعلا ..

ولكن هل هذه هى الأبعاد الحقيقية الفعلية للإنسان ؟ .. تفيض الأقاصيص ويروى الناس عن أبعاد أخرى غير معروفة .. وحوادث لبعض الناس غير مألوفة .. تواترت منذ القدم إلا أنها أصبحت نادرة أو أنها فى نطاق ضيق وفى عدد قليل .. فهذا الذى يأتيه رزقه سهلا يسيرا .. بل يجده فعلا بالقرب من يده .. وغيره ينهض من نومه ليجد ما يبحث عنه فى مكانه .. وصديق يسرع إلى صديقه بعد أن استشعر حاجته إليه وبينهما أسفار واسعة .. ومسافات شاسعة .. فيصله فى بداية حاجته إليه .. وشيخ يدعو أهله ليوصيهم بما يشاء .. ثم يعد عدة وفاته .. فيتوضأ ويحسن الوضوء ويصلى قربة لله .. ثم يدعو لنفسه بالرحمة والمغفرة ويدخل فراشه ويستعد .. للقاء ما يتوقع .. فيكون له ما توقع .. وغيره يشد رحاله متوقعًا موت صاحبه فيصل فى اللحظات المناسبة .. وصديقان يلتقيان بعد فرقة طويلة وقد أعد كل

منهما للآخر بغيته كأنما كان على علم باللقاء وموعده .. ومكانه .. وكأن بينهما تجاوب فكرى واتصال عقلى .. رغم بعد المسافة وطول الفرقة .. وآلاف الأحداث ومئات الحوادث . وملايين القصص تحكى وتروى عن أقوام صح عنهم فعلا ما يروى عنهم .. وتأكد للدارسين صدق ماكان منهم .. إلا أنهم أصبحوا قلة نادرة .. والله أعلم بعددهم ..

وفقراء الهند وأعمالهم الخارقة والتى مازالت تحت الدراسة والفحص أمر يحير الفكر .. فمنهم من يمشى على النار .. ومنهم من يأكل الزجاج .. وغيرهم يدفنون تحت الأرض لأيام وليال ويخرجون أحياء لم يصبهم الأذى .. ومنهم من يقرأ ما فى عقل الإنسان ويكتشف ما فى نفسه .. وحوادث عجيبة وأمور غريبة .. وكلها تشير إلى وجود أبعاد غير معروفة للانسان .. لا يمكن تحديدها .. فهل هى أبعاد خاصة ببعض أفراد النوع الإنسانى ؟. أم هى أبعاد حقيقية للإنسان ولكن لا يستطيع أن يمارسها إلا القلة ؟. أم أنها أبعاد يتحكم فيها الإنسان نتيجة اتخاذه سلوكا معينًا وأمورا محددة ..؟.

لقد ثبت أن للإنسان طاقات وقوى مختزنة لا تظهر إلا عند الخطر .. فأى إنسان فى حالته العادية لا يستطيع أن يقفز إلا من علو معين .. لو حاول الارتفاع عنه فشل ... بل وقد يتسبب ذلك فى إصابته .. ولكن عند الخطر الداهم يقفز الإنسان دون وعى منه أو

إدراك من ارتفاع مضاعف فينجو بذلك من خطر كان سيودى به لو ظل مكانه .. والإنسان فى صومه يحس الجوع بعد ساعات ويقاسى العطش بعد فترة .. ولكنه إذا أجبر عليه بأن ضل طريقه فى صحراء مثلا عاش الأيام والليالى دون غذاء أو ماء وظلت طاقاته على السير والفكر قادرة على أن ترسم له طريق محاولته النجاة .. ويصاب الإنسان بحالات خطيرة بسبب شدة الحر فى الصيف أو حدة البرد فى الشتاء .. ولكن من يعملون أمام الأفران العالية الحرارة يتحملون درجات من الحر لا تخطر على بال .. ومن ينتقلون إلى أقاصى الأرض فى القطب يعيشون الشتاء فوق الثلج وتحت برد لا يوصف قدره .. فمن أين للإنسان هذه الطاقات والقدرات .. ولماذا لا يستخدمها فى ظروفه الطبيعية العادية فيضيف إلى بعده الحالى بعدا جديدا ؟..

ولقد كانت أبعاد الإنسان غير المعروفة وتصرفاته غير المألوفه موضع دراسات عديدة منذ أزمنة طويلة .. ولم تكن هذه الدراسات فى قطاع العلوم الغيبية أو الفلسفة ولكنها كانت موضع الدراسات العلمية التطبيقية وعلى رأسها الطب والتشريح .. فإحساس الإنسان بما هو أبعد من إمكانيته المعروفة والتخاطر الذى يتم بين فردين على الأقل كان موضع دراسة الطب فيقول مثلاً الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة فى كتابه (الإنسان هذا المجهول) ما نصه : (إن الفرد كما نعرف مركز نشاط نوعى وهو يبدو

لنا كما لو كان متميزًا عن العالم الخارجى وعن الأشخاص الآخرين أيضا وهو فى الوقت نفسه متحد بهذه البيئة وبأمثاله . إنه لا يستطيع أن يعيش خارج هذا المحيط وله خاصية مزدوجة فهو مستقل عن العالم الكونى متابع له فى آن واحد . بيد أننا نجهل كيفية ارتباطه بالكائنات الأخرى .. كما أننا لا نستطيع أن نعين على وجه الدقة حدوده المكانية والزمنية . ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن الشخصية تمتد إلى ما وراء العالم الطبيعى . فمن المؤكد أن الفرد يتجاوز حدود جسمه من كل جانب ويمكنه أن يتوسع فى المكان على نحو أكثر إيجابية .. فهو فى حالات التخاطر يدفع على نحو تلقائى ببعض ذاته إلى أماكن سحيقة فى شبه انبثاق يوجه صوب أحد الأقارب أو أحد الأصدقاء وهكذا يمتد إلى مسافات بعيدة مجتازًا المحيط وقارات بأسرها فى لحظة من الزمن أصغر من أن تقدر وفى مقدوره أن يصادف وسط جماعة ما الشخص الذى يريد أن يخاطبه فيتصل به على نحو ما ، وقد يحدث له أيضاً أن يكتشف فى مدينة حديثة ترامت أطرافها واشتدت جلبتها البيت والغرفة والشخص الذى يبحث عنه على الرغم من أنه لا يعرف شيئًا عنها أو عنه . ويبدو كأن الفكر ينتقل من نقطة إلى أخرى خلال الفضاء كالموجات الكهرومغناطيسية ولكننا لا نعرف بأية سرعة ينتقل .. فقد استحال حتى الآن قياس سرعة الاتصالات عن طريق التخاطر . إن التخاطر هو من الحقائق المستمدة مباشرة من الملاحظة ومن المشكوك فيه كثيرًا أن ظواهر

التخاطر ترجع إلى انتشار عامل فيزيقى فى الفضاء بل إنه من الممكن ألا يكون هناك أى اتصال مكانى بين الشخصين اللذين يتم بينهما التواصل ، فنحن نعرف فى الواقع أن العقل لا ينحصر انحصارا مطلقاً فى نطاق أبعاد العالم المادى الأربعة ، وأنه بالتالى موجود داخل الكون المادى وخارجه فى آن واحد . ويمكننا أن نفترض أن التخاطر هو عبارة عن لقاء يتم خارج أبعاد كوننا بين الأجزاء غير المادية من شعورنا . وفى الوقت الراهن ينبغى أن نظل على اعتبارنا أن الاتصالات عن طريق التخاطر هى نتيجة لامتداد الفرد على نحو ما فى الفضاء.هذه القابلية للامتداد ظاهرة نادرة . على أن كثيرين منا يقرأون أحياناً فكر الآخرين كما يقرؤه أصحاب الاستشفاف ومن الناس من لهم قدرة مماثلة على توجيه أمثالهم وإقناعهم بكلمات تافهة ودفعهم إلى تحقيق رغباتهم بها) .

وقد أصبحت هذه الدراسات متصلة ويتابعها المختصون ووضع تعريف علمى للتخاطر فى الأبحاث النفسية اتفق على أنه (انتقال أى نوع من الانطباعات من ذهن إلى آخر على نحو مستقل عن الموصلات الحسية المعروفة) وفى كل دولة من دول العالم توجد الدراسات والتجارب العملية التى تهدف إلى جمع مختلف صور التخاطر والاستشفاف وتصنيفها وبحثها ووضع التقارير عنها بغية الوصول إلى إمكان استفادة كل إنسان منها واتخاذه التخاطر والاستشفاف سبيلا إلى إضافة أبعاد جديدة له

وترتبط هذه الدراسات للظواهر الخارقة ولهذه الأبعاد غير المألوفة بدراسة النشاط الصوفى الذى يوضع كذلك موضع الدراسات العلمية بما ثبت أن للإنسان إمكانيات هائلة تتفجر عن طريق التمسك بالدين والتجرد التام لله ومحاولة الاتصال به اتصالا تامًا وكاملا عن طريق نظافة الجسد وتطهير الروح والتحلل من كل أدران الإنسان بجزئية الجسم والروح ... ويقول الدكتور الكسيس كاريل من ربط هذه الأبعاد الجديدة على الإنسان بالتصوف ما نصه :(قلما نلاحظ عند الرجال الحديثين ظواهر النشاط الصوفى أو الشعور الدينى . إن الشعور الصوفى حتى فى أكثر صوره بداوة شعور فريد وهو أكثر تفردا أيضًا من الشعور الخلقى ومع هذا فهو واحد من أوجه نشاطنا الجوهرية . يتخذ النشاط الدينى صورا مختلفة إنه فى حالته البدائية الأولى تعطش ونزوع مبهم نحو سلطان يعلو فوق الصور المادية و العقلية فى عالمنا . إن الجمال الذى ينشده الصوفى أبعد عن التعريف والتحديد .. إنه بدون صورة على الإطلاق . ولا يمكن التعبير عنه بأية لغة .. يختفى فى أشياء العالم المنظور ويبدو لقلة من الناس .. وهو يتطلب تسامى الروح نحو كائن هو الذى ينبثق منه كل شىء نحو سلطان أو مركز قوى يسميه المتصوفة الله . ويتطلب أولا وقبل كل شىء ممارسة الزهد ويستحيل ولوجه دون مران زهدى استحالة بلوغ الإنسان مرتبة الرياضى دون مران بدنى. ورياضة النفس على الزهد شاقة .. ولهذا كان قلة من الناس هى التى تجد فى نفسها الشجاعة للسير فى طريق الصوفية ..

هذا الطريق الوعر الذى يقتضى المرتحل فيه التجرد من ذاته ومن أمور هذه الدنيا .. إنه ينفصل عن نفسه شيئًا فشيئًا .. وتصبح صلاته تأملا .. ويدخل فى الحياة النورانية .. إنه يعجز عن وصف ما يرى . لقد أثبتت الدراسات أنه توجد بين بعض الأفراد وأشياء الطبيعة صلات دقيقة غامضة .. هؤلاء الرجال يبدون كما لو كانوا يمتدون خلال الفضاء حتى الحقيقة التى يدركونها . إنهم يخرجون من ذواتهم ويخرجون أيضًا من العالم المادى ، وهم أحيانًا يمدون خيوطًا من ذواتهم وراء المكان والزمان إنهم يستطيعون تأمل قوانين الطبيعة والمجردات الرياضية والجمال الأسمى والله) .

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أن كل ما تشير إليه الدراسات الحديثة من وسائل إكساب الإنسان أبعادا جديدة له .. وتيسير الحياة الطيبة السهلة عليه .. قد أمرت بها الآيات الشريفة ورسمت الطريق الصحيح لتحقيق نتائجها .. وبذلك نجد أن الكثرة من السلف الذين حافظوا على اتباع ما أمرت به آيات القرآن الكريم قد وجدوا فيها تحقيقًا للنتائج التى ذكرها القرآن الكريم لمن اتبع ما جاءت به .. وأما السبيل إلى العودة إلى ما كان عليه هؤلاء السلف فمن أيسر ما يمكن للإنسان أن يقوم به .. فليس من وسيلة غير تقوى الله .. التى تحقق للإنسان العمل بأبعاده الحقيقية التى خلقها له سبحانه وتعالى .. فالإنسان قد نفخ فيه الله جل شأنه من روحه وبذلك أصبح فيه جزء من الله .. لو أخلص فى عمله لساد هذا الجزء على جسده .. ولأمكن

أن يحقق به العجب كل العجب ولذلك فلقد تكررت الدعوة إلى تقوى الله وأمر بها القرآن الكريم فى معظم سوره الشريفة وبلغ عدد المرات التى تكرر فيها ذكرها ما يقرب من ٢٤٢ مرة والآيات صريحة فى أن من يتق الله سيجعل الله أمر حياته يسرا وذلك بالنص الشريف :

« فأمَّا مَن أَعطَى واتَّقَى . وَصدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيسْرَى » .

« ٥ ـ ٧ سورة الليل »

وأن البركات تهبط على المتقين من السماء وتخرج لهم من الأرض بحيث تفيض عليهم فى كل ما يشتهون وبكل ما يطلبون بالنص الكريم .

«وَلَو أَن أَهلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيهِم بَرَكاتٍ مِّنَ السَّماءِ والأرضِ ولكِن كَذبُوا فأَخَذْنَاهُم بِمَا كانُوا يَكسِبُونَ» .

« ٩٦ سورة الاعراف »

وأما اتصال الإنسان بالله وهو السبيل إلى أن يرى ما لا يراه الناس فإن القرآن الكريم قد قرر أن الله مع المتقين وذلك بالنص الشريف :

« إِنَّ اللهَ مَع الذِينَ اتَّقَوْا والذِينَ هُم مَحسِنُونَ ».

« ١٢٨ سورة النحل»

وليس أدل على عظم شأن التقوى وأنها السبيل إلى يسر الحياة فى كل أمورها من الآيات الكريمة التى تقول :

« وَمن يَتَّقِ الله يَجعَل لَهُ مَخرجًا . ويَرزُقْهُ مِن حَيْثُ لاَ يَحتَسِبُ » .

« ٢ ـ ٣ سورة الطلاق »

« ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجعل لَهُ مِن أمره يسرًا ».

« ٤ سورة الطلاق »

« ومَن يَتَّقِ اللهَ يكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئَاتِه ويُعْظِمْ لَهُ أجرًا » .

« ٥ سورة الطلاق »

بل إن جزاء التقوى ينسحب إلى أولاد الإنسان . فلو كانوا ضعافًا قواهم الله . ولو كانوا فقراء أغناهم الله من فضله . وذلك بالنص الشريف :

« وليَخشَ الذِينَ لَو تَركُوا مِن خَلفِهِم ذُرِيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَليهِم فَليَتَّقوا اللهَ وليَقُولَوا قَولاً سَديداً » .

« ٩ سورة النساء »

وأما ثواب التقوى فى الآخرة .. فإن آيات القرآن الكريم قد أوردت بعض الجزاء بما يجعل المتدبر لها يحرص عليها أشد الحرص إذ تقول الآيات الكريمة :

« إِنَّ المُتَّقِينَ فى ظِلاَل وَعُيونٍ . وفَواكهَ ممَّا يَشتَهُونَ . كلوا واشربوا هَنِيئًا بِمَا كنتم تَعمَلونَ . إِنَّا كَذَلكَ نجزى المحسِنِينَ » .

« ٤١ ـ ٤٤ سورة المرسلات »

« إِنَّ لِلمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائقَ وأعنَابًا . وكَواعِبَ أَترابًا . وكأسًا دِهَاقًا . لاَ يَسمَعُونَ فِيهَا لَغوًا ولاَ كِذَّابًا . جَزَاءً مِن رَبِّك عَطاءً حِسَابًا ».

« ٢١ ـ ٢٦ سورة النبأ »

ويحدثنا القرآن الكريم عن حقائق وقعت تجاوز فيها الإنسان أبعاده المعروفة نتيجة التقوى فهذه العذراء التقية سيدتنا مريم تجد عندها دائمًا رزق الله متعدد الأصناف بحيث لا تحتاج فى حياتها غيره وذلك بنص الآية الشريفة :

« فَتَقَبَّلهَا رَبُّها بقبولٍ حَسَنٍ وأَنبتَها نَباتًا حَسنًا وكفَّلهَا زَكريَّا كلَّمَا دَخلَ عَليها زَكريَّا المِحرَابَ وَجدَ عِنْدَها رزقًا قَالَ يَا مَرْيمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالت هُوَ من عِندِ الله إِنَّ اللهَ يرزُقُ مَن يَشاءُ بغيرِ حِسابٍ » .

« ٣٧ سورة آل عمران »

وعندما جاءها المخاض وكان ذلك تحت شجرة نخل مجردة من الثمر فى ذلك الوقت من العام إذ ولد سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام شتاء طلب الله سبحانه وتعالى منها أن تهز جذع النخلة فيتساقط عليها بلحًا رطبًا لتأكل منه فهو غذاء كامل وليساعدها على الولادة .. فقد

اتضح أخيرًا أن بالرطب موادًا كيماوية تساعد على زيادة الطلق وإنهاء الولادة بيسر وسهولة .. وهكذا تحقق للسيدة مريم ما لا يمكن أن يتحقق إلا لمن يتق الله سبحانه وتعالى فيجعله يستخدم الطاقات التى تتفجر بصلته بالله فيجد ما يشتهى فوراً ويطلب ما يجاب إليه حتما ... وفى ذلك تقول الآيات الكريمة عن سيدتنا مريم :

« فَأَجَاءَهَا المخَاضُ إلى جِذعِ النَّخْلة قالت يَالَيْتَنِى متُّ قبلَ هَذَا وكُنْتُ نَسيًا مَنسِياً ، فَنَادَاهَا من تحتها أَلَّا تَحزَنِى قَد جَعلَ ربُّكِ تحتَكِ سَرِيًّا . وهزى إليكِ بجذع النَّخلَة تُساقطِ عَليكِ رُطَبًا جَنيًا . فَكلى واشْرَبِى وقَرِّى عَينًا فإما تَرينَّ منَ البَشرِ أَحَدًا فَقُولى إنِّى نذَرتُ للرَّحمن صَومًا فَلن أُكلِّم اليومَ إنسيًا » .

« ٢٣ ـ ٢٦ سورة مريم »

وهذا سيدنا زكريا تناديه الملائكة وتحدثه ويسمعها وهو قائم يصلى لله فى المحراب وتبشره بما سيقع له مستقبلا وذلك بالنص الشريف :

« فَنَادَته الملائِكَةُ وهوَ قَائمٌ يُصَلى فى المحَرابِ أَنَّ اللهَ يُبشِّركَ بِيحيىَ مُصدِّقًا بِكلمةٍ منَ اللهِ وسيِّدًا وحَصُوراً ونَبيًّا منَ الصَّالحِينَ » .

« ٣٩ سورة آل عمران »

بل إن الله سبحانه قد قرر فى كتابه الكريم أنه جل شأنه يدافع عن الذين آمنوا وذلك بالنص الشريف :

« إنَّ اللهَ يُدَافعُ عَنِ الذينَ آمنُوا » . « ٣٨ سورة الحج »

وقد دافع فعلا عن الذين آمنوا والذين اتقوه فنصرهم على قلتهم بل وأرسل لهم آلاف الملائكة يحاربون معهم ويشاركون فى صفوفهم ويعجلون بنصرهم وذلك بالنص الكريم :

ولَقَد نَصركُمُ اللهُ ببدر وأنتم أَذلَّةٌ فاتَّقوا اللهَ لعلَّكُم تَشكُرونَ ، إذ تقولُ للمُؤمنين ألن يَكْفِيَكم أَن يُمدَّكُم ربُّكم بثلاثَة آلافٍ من المَلائكَةِ مُنْزَلين ، بَلَى إن تَصْبِرُوا وتتقوا وَيأتُوكُم من فَورِهم هَذَا يُمْدِدْكم رَبّكُم بِخمسَةِ آلافٍ منَ المْلائكة مُسومينَ » .

« ١٢٣ ـ ١٢٥ سورة آل عمران »

إن الأبعاد التى يصل إليها الإنسان بتقوى الله أجل من أن توصف .. وأبعد مما يتصور .. وهى بحيث لا تقارن مع أبعاد الإنسان المادية بجسده وروحه والتى يحاول العلم جاهدا أن يضيف إليها زيادات ولكن ليست فى ميدان الأبعاد التى تسمح له بأن يصبح من أصحاب أبعاد المتقين .. لذلك نجد أن الدعوة إلى تقوى الله ترددت كثيراً فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله جل شأنه قال :«ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وقلبه الذى يعقل به فإذا دعانى أجبته وإذا سألنى أعطيته وإن استنصرنى نصرته وأحب ما تعبدنى عبدى به النصح لى ».

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحببه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض . وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه ثم توضع له البغضاء فى الأرض ».

فما أعظم من أن يصل الإنسان إلى أبعاده الحقيقية ويستفيد بطاقاته الكاملة ليجد كل ما فى الوجود وكأنه طوع أمره ورهن إشارته ووفق إرادته إذ يقول للشيء كن فيكون .. فمما يروى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال : « عبدى أطعنى تكن ربانيًّا تقول للشيء كن فيكون » .

وما أسهل الطريق إلى تحقيق ذلك ..

إيمان بالله مطلق ..

وطاعة لله تامة ..

والجود والبذل على قدر الاستطاعة ..

وأداء فرائض الله كاملة ..

والوفاء بالعهد ..

والصبر عند الكرب ..

فقد قال الله عز وجل فى كتابه الكريم :

« ليسَ البِرَّ أنْ تُولوا وجُوهَكُمْ قِبلَ المَشْرِقِ والمغْربِ ولِكنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله واليَومِ الآخِرِ والمَلائكَةِ والكتَابِ والنبيِّينَ وآتى المالَ على حُبِّه ذَوى القُربَى واليَتامَى والمسَاكينَ وابنَ السَّبِيلِ والسَّائِلينَ وفِى الرِّقَابِ وأقَامَ الصَّلاَةَ وآتَى الزَّكاةَ وَالموفُونَ بعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا والصَّابرينَ فى البَأسَاءِ والضَّرَّاءِ وحِينَ البأسِ أُولئكَ الَّذينَ صَدَقُوا وأولِئكَ هُمُ المتَّقُونَ » .

« ١٧٧ سورة البقرة »

ماذا تقـول لربكَ غـداً ؟

إن كل ما فى الوجود كبيره وصغيره .. قريبه وبعيده .. حاضره وغيبه إنما يشير إلى حقيقة مؤكدة لم تعد موضع الجدل أو النقاش ألا وهى وجود الله سبحانه وتعالى .

فقديمًا كان الإيمان بالله جل شأنه يملأ نفس الإنسان بالفطرة التى فطر الله الناس عليها .. وكذلك عن طريق اليقين بما جاءت به الكتب السماوية .. واستمر ذلك شأن الأجيال المتلاحقة إلى أن تقدمت الدراسات العلمية واتسعت آفاق الفكر وتعددت مناطق البحث واتخذ الإنسان العلم أساسًا لكل ما يؤمن به .. ومجالا يبحث فيه عن كل ما يريد أن يعتقد فيه .. فبدأ الإنسان يقارب فى حذر بين معتقداته الدينية وبين العلم .. فظهرت بعض الآراء المغرضة التى ينادى بها بعض الملاحدة من أن الدين من الأمور الغيبية التى تستعصى على القياس الزمنى والتجريب القياسى والبحث المعملى .. ولذلك فلا يمكن أن يكون البحث الدينى موضع النقاش العلمى ورضى الإنسان مضطرًا مجبرًا بلا خيرة له .. وبلا عمد منه .. أن

يفصل بين الدين والعلم باعتبار أن لكل منهما طريقه الذى يجب ألا يحاول التقريب بينه وبين الآخر وكما آمن بالعلم اعتقد فى الدين مؤمنًا بالله إيمانًا فطريا داخليا عميقًا .

وكخطوة تالية لذلك .. حاول الملاحدة ـ بعد نجاحهم فى فصل الدين عن العلم ـ إثارة الشك فى الدين عن طريق بيان معارضة العلم له ومخالفة الدين لما جاء به العلم. وكأن الله سبحانه وتعالى قد أراد أن يجعل العلم فى عصر العلم هو طريق الإيمان .. وأن يعمق به عقيدة التوحيد .. وأن يضيف إلى الدين طريقًا جديدًا يوصل إليه ويناسب الجيل ألا وهو طريق العلم .. فكانت المحاولات الجادة الجريئة التى ناقشت الإيمان والدين مناقشة علمية .. وعلى ضوء العلم تمت دراسة التكاليف والعبادات الدينية .. وفى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وجدنا العلم فى أدق أساليبه وإلى أبعد حدوده وأحدث صوره وأعمق مجالاته .. وفى طريق العلم وجد الإنسان الدين واضحًا قويا .. وفى طريق الدين وجد العلم سليما عميقًا .. وكم من آيات قصر العقل البشرى عن تفهم معانيها وتقصى حقائقها حتى أوضحها التقدم العلمى .. وكم من حقيقة علمية لا تفسير لها إلا بالتسليم بوجود الله والاعتراف بقدرته وعظمته .. ففى الذرة توجد القوى الجاذبة الكهربية التى تمسك بنيانها وهذا قانون علمى به تتجاذب القوى السالبة مع الموجبة وتتنافر السالبة مع مثيلتها السالبة وكذلك تتنافر الموجبة مع شبيهتها الموجبة .. ولكن فى الذرة نجد التجاذب قائماً حتى يتماسك البناء

ولكن لا نجد التنافر بين القوى الكهربية المتماثلة بالرغم من وجودها داخل الذرة .. ففي الذرة يوجد قانون .. ويوجد عسكه .. وكذلك انتشار المحاليل فى الخلية ورفع السوائل داخل النباتات .. ولا يقول العلم إلا بأن هذا أمر الله ولا أكثر ولا أقل .. ولا تعليل آخر .. ولا رأى يغاير ذلك ..

ولقد أمكن للعلم أن يعرف حقيقة قصة خلق الإنسان كاملة وتفصيلية وهى سهلة مبسطة إذ هكذا تبدو للدارس لأول وهلة .. فخلية حية ذكرية تتحد مع خلية حية من أنثى ويتم التلقيح بينهما فتتكون خلية تظل تنمو بالانقسام وتكون الأجهزة .. وهذا أمر قد أثبته وناقشه العلم .. ولكن تقرر الأبحاث التشريحية والمشاهدات العلمية أن هناك لحظة ما .. لا يعرفها أحد .. نجد أن القلب قد بدأ يدق .. دون سبب معروف ودون حركة خارجية أو إرادة من الجنين أو أمه لا يعرف لها أى تعليل أو توقيت أو سبب إلا أن الله وحده قد قدر وقرر وأنه لا حياة تدب فى الجنين دون أن يدق القلب ..

ويقرر العلم أن الإنسان إذا ما أصاب جسده التلف وحطمت أجهزته الشيخوخة أو أنهكت قواه الأمراض وقف قلبه .. وانتهت حياته .. ولكن كثيرًا ما يكون الإنسان فى أتم صحته وعنفوان شبابه وفجأة دون سبب وبلا مبرر تنتهى حياته .. يتوقف قلبه .. ويؤكد العلم ويقرر أن هذا أمر الله وحده ..

ويفرض الدين على الإنسان شهادة الألوهية والتوحيد .. ورسالة

نبيه .. ويطالبه بالصلاة فى أوقاتها .. والصوم فى تاريخه .. والزكاة .. والحج .. وظل الإنسان يؤديها على أنها عبادات واجبة الأداء ولا هدف لها إلا طاعة الله حتى أوضح العلم ما تهدف إليه هذه الفرائض من خير الفرد والمجتمع فى الدينا والآخرة ..

وبذلك لم تعد حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى فى حاجة إلى دليل إذ قد أثبتت وجود الله جل شأنه الأدلة العقلية والمنطقية والنقلية والفطرية ثم أضيفت إليها الأدلة العلمية .. وبذلك تعمق الإيمان فى نفوس الناس وأصبح لكل إنسان أكثر من طريق يؤمن منه بالله سبحانه وتعالى ويهديه إلى شواهد عظمته وآثار قدرته .

ويقرر العلم فى أبحاثه المعملية أن كل حركة فى الوجود إنما تصور فى لوحة الكون تصويرًا يجعلها خالدة خلودًا إلى ما شاء الله .. وقد أمكن فعلا تصوير حوادث سابقة عن طريق إشعاعاتها الموجودة .. ومازال العلم يجد ويجتهد لعله يستطيع تصوير هذه الحوادث بطريق أسرع وعلى أبعاد أطول .. ومن أجيال أقدم .. كما قرر أن كل صوت وقع أو حديث تم إنما هو مسجل فى لوحة الأثير فلا يفنى ولا يصيبه الهرم .. وقد أمكن فعلا التقاط أصوات ماضية وما زال العلم يبحث لعله يستطيع أن يصل إلى أبعد من ذلك ..

وقبل أن يصل العلم إلى كل هذه الحقائق قال بها الدين .. إذ يقرر أن كل ما يعمله الإنسان إنما يسجل ويراه الله ورسوله وينشر على

الناس جميعًا فقد قال القرآن الكريم :

« وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولهُ وَالمُؤمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إلى عَالمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُم تَعمَلُونَ ».

« ١٠٥ سورة التوبة »

وكل لفظ يقول به الإنسان إنما يسطر وتسطره ملائكة ترتقب القول ولا تبدله إذ تقول آيات القرآن الكريم :

« إذ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَان عَنِ اليَمين وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . ما يَلفِظُ مِنْ قَولٍ إلاَّ لَدَيهِ رَقيبٌ عَتِيدٌ ».

« ١٧ ـ ١٨ سورة ق »

وأما اللوحة التى يقرر العلم أنها تسجل عليها كل ما يعمله الإنسان وما يقوله .. ولا تتبدل أو تتغير.. وأنها محفوظة إلى أن يشاء الله فتنشر.. فإن القرآن الكريم قد أورد حقائقها بنص صريح إذ تقرر الآيات الشريفة أن الله سبحانه وتعالى سينشر للناس كتابهم يوم القيامة وأن لكل إنسان فى عنقه من يقوم بتولى تسطير الكتاب بما فعل وقال وذلك بنص الآيات :

« وَكُلَّ إنسَانٍ أَلزَمنَاهُ طَائرَهُ فى عُنُقهِ ونُخْرِجُ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ كتَابًا يَلقَاهُ مَنشُورًا . إقرَأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ الْيَومَ عَلَيكَ حَسِيبًا ».

« ١٣ ـ ١٤ سورة الإسراء »

أما قدر هذا الكتاب ودقته فإن القرآن الكريم يقول :

« وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا . وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » .

« ٤٨ ـ ٤٩ سورة الكهف »

ترى بعد هذه الحقائق المؤكدة التى اتفقت الأدلة كلها على صحتها فلم تعد بعد تحتمل أية مناقشة أو تحتاج إلى مزيد من الأدلة أو زيادة فى البحث ما هو موقف الإنسان وكيف يتصرف فى يومه ؟..

إن الله موجود يقينًا وقطعًا ..
وكل عمل نقوم به إنما يسجل حيث لا يتغير ولا يفنى ..
وكل قول نلفظ به إنما يسطر حيث لا يتبدل ولا يمحى ..
والحياة قصيرة مهما طالت .. والنهاية قريبة مهما تمتد ..
وما أقرب الغد .. أيا كان موعده .. وأيا كان زمانه ..
فغدًا عندما نعرض على الله سبحانه وتعالى وينشر الكتاب ..
ونواجه بالسؤال ..
ماذا نقول لله ؟..

إن على من أراد النجاة من هول العرض وخزى السؤال يوم القيامة ..

أن يبدأ يومه بسؤال نفسه ماذا يقول لله عند السؤال ..
وإذا أمسى سأل نفسه كذلك ..
بل وفى كل ما يتصرف به نحو نفسه ونحو غيره .. وفى كل وصية يوصى بها نفسه أو غيره ..
وإذا اتخذ الإنسان لنفسه شعارًا .. أو سأله غيره عن شعار له ..
فليفعل كما فعل سيدنا عمر رضى الله عنه حينما اتخذ شعاره ما كان يسأل به نفسه .. وغيره فى كل لحظة وكل حين ..
(ماذا تقول لربك غدًا ؟) ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ».

« ١٨ سورة الزمر »

صدق الله العظيم

الفهرس

رقم الإيداع : ١٧٨٥ / ١٩٨٩
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٢٩٤ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
بيروت، ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣



الغلاف للفنان حلمي التوني





لكل إنسان لحظات تفكير يقضيها مختلياً بنفسه .. وحيداً مع فكره .. متأملاً .. متطلعاً .. باحثاً .. متخيلاً .. متدبراً .. متفكراً .. وعلى قدر هذه اللحظات .. وطولها .. واستمرارها وموضوعاتها .. ينمو العقل .. ويتقدم الفكر .. ويتعمق الإيمان .. فإن كل فكر فيما هو حول الإنسان إنما يقوده إلى الحقيقة الأولى في الحياة .. وجود الله .. ووحدانيته .

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤

بيروت : ص . ب . ٨٠٦٤ ـ هاتف . ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣